

إحذروا
الزِّنا والزُّناة
الأيدز
تأليف
يم فهد شبعانيّة

إحذروا
الزنا والزناة
الأيدز

تأليف

سليم فهد شبعانية

الطَّبْعَة الأولى
١٩٩٥

النَّاشِرُ المؤلِّفُ

رَقَمُ الموافَقَة: ٢٤٠١٥
تاريخها: ١٦ / ١٠ / ١٩٩٤
عَدَدُ النّسخ / ٣٠٠٠ /

مَطْبَعَة جَوهَرُ الشّام

توزيع مكتبة دار الألباب

دمشق - حلبوني - هاتف - ٢٣٩٨٢٠ ص.ب ٣٠٠١٩

قال تعالى:

﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾

[الأعراف / ٣٣]

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد للّه الخلاّق العليم. وصلى اللّه وسلَّم على الرسول الأوّاه الحليم، أبي الطاهر محمَّدٍ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فإنَّ التحذير من الشيء هو التخويف منه، والتفزيع. ومن مجازات العربية أن أطلقوا المحذورة على الداهية التي تُحْذَرُ، وعلى الحرب. وقالوا: صبّحتهم المحذورة، أي: الخيلُ المغيرة، أو الصّيحة المفاجئة.

والمحذِّر خيِّرٌ كيفما وُصِف. صادق مع نفسه، وصدوق مع الآخرين. وليس مِنْ قوم مَنْ يرى الأخطار تداهم قومه فلا ينذرهم، وإِنْ أَخْطَرَهم برِيءَ من الخيانة، ووفى بأمانة الإنتماء إليهم.

وقد يتمثل التحذير البنّاء - وليس التهديد - في كل منتهج بإخلاص لنظام الإسلام، أو في شخص، أو في أشخاص، أو مؤسسة، فيسعى بين الناس بمظهر الناصح وحقيقته، أو بالموصي مرة، والزاجر بعنف تارة أخرى، دائباً على التوعية والتيقظ من مقارفة المهالك، ومن الخوض في مستنقعات الحُتُوف، وحاملاً على الوقاية المنيعة، من كلِّ محذور، وناظراً على الرعاية النَّشِطة، في حقِّ المُحَذَّر.

ومن آنس من نفسه هذا الشعور إزاء الآخرين، فليهنيء نفسه، ونحن له من المهنئين، على غَيْرِتِهِ، ولعمر الحقّ إنه لغيور، وقد قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم، فيما خرّج مسلم (٢٧٦١): «المؤمنُ يَغَارُ. واللهُ أشدُّ غَيْرَاً». لأن الإيمان يجعله أشرف الناس، وأعلاهم همة، وأشدهم غيرة. ومن غار في محل الغيرة فقد وافق ربّه في صفة من صفاته، ومن وافقه في صفة منها، قادته تلك الصفة بزمامه، وأدخلته صروح النزاهة، وأدنته من حضرة القدس، وقربته من

رحمة الله تعالى. ومن الغيرة غيرة العلماء والعظماء، إذا رأوا منكراً، وشيوع فاحشة، فزعوا فطاروا إلى تغييره، ومنع جائحته أن تفتك بالعباد. وذلك بما قدروا عليه من استعماله في إزالته وتنظيف المجتمع منه. فمنهم من حفزته غيرته على الإزالة باليد لما قبحّه الشرع وحظره. ومنهم من انطلق لسانه حثيثاً بالتذكير والوعظ والارشاد. ومنهم من لم تسعفه الغيرة إلا بالانكار في قلبه فقط، فتراه يكره مرة ويعزم أخرى أنه لو قدر على دفع الخبائث بيده.

ولما كانت الغيرة نعتاً محموداً، كان أولى المنعوتين بها حضرة الله سبحانه وتعالى، وهذا ما قرره رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، لما بلغته مقالة سعد بن عبادة رضي الله عنه: لو رأيت رجلاً مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح[1]. فقال: «أتعجبون من غيرة سعد، لأنا أغير منه، والله أغير مني». [صحيح البخاري/ ٦٤٥٤]. وقال صلى الله عليه وسلم: «ليس أحدٌ أغير من الله، من أجل ذلك حرّم الفواحش». [صحيح مسلم/ ٢٧٦٠]. فغيرة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم منعهما عن المعاصي، والتوعد بالعذاب الشديد. ومنشأ الغيرة هو الحبُّ المنبعث تجاه المحبوب، والسعاية في حمايته. والمحبُّ حريص على حياة وراحة المحبوب، واستمرار سعادته، وخير مثال: الأب المربي في ضرب فلذة كبده مؤدباً. ومن هنا ندرك جواب السائلين: لماذا حرّم الله الزنا واللواط والسّحاق ووطء البهائم والشذوذ الجنسي وغير ذلك؟.

وبنظرة طبية سريعة نلقيها على المحرمات هذه، يتجلى لنا سرُّ التحريم، ويتضح وضوح الشمس في رابعة النهار، فيطمئن القلب وترضى النفس المؤمنة، إذ الطبّ محرابٌ للإيمان، على الرغم من أن النفس الأمارة بالسوء ترى بعين شهوتها لذة الجماع المحرَّم والتقارب الأثيم، ألذ مافي الوجود، وكذلك يزين لهم الشيطانُ وأنفسُهم سوءَ عملهم. ومن قبل، نزل النص المحرِّم، فاجتنبَ المؤمنون المنهيات. مع خفاء وعدم المعرفة لجميع أسرار التحريم. فماذا جرى للبشر من بعد؟ وقد علموا من أسرار التحريم للزنى، مافتك بهم من الأمراض

---

(١) أي بحدّه، ليقطعه إرباً إرباً.

الجنسية كالزهري والسيلان، وآخرها شراسة الإِيدز، هذا المرض الذي لا علاج له، وهو بداية نهاية المصاب به... فماذا جرى لهم؟

وما الكتاب هذا (احذروا الزنا والزناة) إلا محاولةٌ تسهم في برنامج مكافحة الأمراض الفتاكة، وتنبه من الوقوع في مصائد المبتلين بمرض نقص المناعة المكتسب من الاتصال الجنسي الشاذ المحرّم.

وأعددته خدمة للرعاية الصحية التي أمر الله بها، في الكلام الحكيم، فقال: ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾. [البقرة/ ١٩٥]. وقال تعالى: ﴿ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما﴾. [النساء/ ٢٩].

وما العواقب الوخيمة لمقارفة الآثام، كالأمراض المرعبة، إلا بمثابة عصا فوق رأس المتمرد على قوانين الرب جل وعلا.

وأما المؤمن بالله استسلاماً لأوامره وإذعاناً بربوبيته وعبادة له، ماهو إلا مثال الطاعة المحترمة، فهو أبعد من أن يُزْجَر بعصا ويُخْطَر بمصاب.

ولما يهجر الكثيرون المكابرة على دين الله، والعناد تجاهه، ويذرون المقولة الظالمة: (الدين مجرد طقوس في دور العبادة) ويأخذون على أن الإسلام دين الحياة الإنسانية في جميع جوانبها، ومنها الجانب الصحي، فإنهم يرون الإسلام كتاب طب فعّال بالنسبة لهذا الجانب، ويرونه كل كتاب في كل جانب من الحياة.

فلو ألقى نظرة سريعة على بعض أوامر هذا الدين الحنيف، لوجده من الناحية الصحية ـ مثلاً ـ يأتي بالعجب العجاب فيما أولى من الطب النواحي الوقائية الأهمية الكبرى وأرسى دعائم الطب الوقائي، في الوقت الذي لم يهمل فيه النواحي العلاجية.

ألم يكن الإسلام إزاء الصحة العامة آمراً بالنظافة الشخصية والبيئية، ومدرباً على الرياضة الهادفة، ومختاراً للأغذية النافعة، ومحرِّماً ومنفِّراً من الخبائث كالميتة والدم ولحم الخنزير والخمر، ومن الفواحش كجريمة الزنا واللواط والشذوذ الجنسي؟.

وبهذا لا يمكن أن ينأى الإسلام عن المجتمع، ولا أن يرضى عن مجتمع يعتمد مبادىء ظالمة، ويعتنق نظريات ضالّة، أو يحتفظ بعلاقات غير علاقات الإسلام وقيمه، فلقد جاء ليضيء آفاق الحياة أمام الناس، ويمحو من دنياهم

الظلام والضلال، قال تعالى: ﴿كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم، إلى صراط العزيز الحميد﴾. [إبراهيم/ ١].

والإسلام حرب على الجاهلية الحديثة التي انفجرت قيوحها من المجتمع الغربي الوضيع في نظمه وأعماله، ولوّثت المجتمعات النظيفة بِنَتَنِها وخُبثِ آثارها.

ولم يكن حرباً عليهم بالحديد والنار، بل بمنهجية رسمها الإسلام للمجتمع الإسلامي مبيناً الأهداف والدعائم والأوضاع والخصائص على ضوء الكتاب والسُّنّة..

وتتميز هذه المنهجية بسعيها نحو سعادة البشر جميعاً، لأنها لم تصدر عن طبقة ولا فرد، بل صدرت عن خالق البشر، ولم تقم على تجارب قاصرة، أو شعارات جوفاء، بل قامت على مبادىء صادقة تطابق حقائق الأشياء، وتتفق مع سنن الحياة، وبهذه الحقائق ليؤمن الناس. وصدق الله العظيم في خطابه لأجدادنا حملة الإسلام الأوائل: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر، وتؤمنون بالله﴾. [آل عمران/ ١١٠]. ونعته لهم بأنهم: ﴿التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون، الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشِّر المؤمنين﴾. التوبة/ ١١٢.

والله ربّ الجميع، ولهم جميعاً يقول: ﴿قد أفلح المؤمنون[١]، الذين هم في صلاتهم خاشعون[٢]، والذين هم عن اللغو معرضون[٣]، والذين هم للزكاة فاعلون، والذين هم لفروجهم حافظون، إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين، فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون[٤]، والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون، والذين هم على صلواتهم يحافظون، أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس[٥]، هم فيها خالدون﴾. [المؤمنون/ ١١٠].

---

(١) فازوا ونجوا.
(٢) متذللون خائفون.
(٣) مبتعدون عما لا يعتدّ به.
(٤) المعتدون.
(٥) أعلى الجنان.

احذروا الزنا... لماذا؟

أبدأ بالإجابة من منشورات الأطباء:

إن الزنا هو المسؤول الأول عن انتشار الأمراض الزهرية (الجنسية) في المجتمع.

فما هي الأمراض الزهرية؟

هي أمراض هامة جداً، تحتل مركزاً رئيسياً في علمي الأمراض الجلدية والزهرية نظراً لخطورتها وسرعة انتشارها.

كما أن اختلاطاتها الحشوية، وما ينجم عنها من اضطرابات وظيفية، وتخريبات في مختلف الأعضاء والأجهزة تجعلها كبيرة الأهمية أيضاً في علم الأمراض العام[1].

والأمراض الجنسية النازلة بالزاني والزانية كثيرة. وسبب انتشارها كما يقول الطبيب باتشلر والطبيب موريل: (إن انتشار الأمراض الزهرية ـ الجنسية ـ راجع بالأساس إلى إباحية الصِّلات الجنسية، وكل شيء يفتت شمل الأسرة يزيد في هذه الإباحية والأمراض).

وقال الدكتور جون بيستون: (إن القرائن التي جمعت من عدة دراسات تدل على أن الأمراض الجنسية تنتج في معظمها عن العلاقات الجنسية خارج نطاق الزواج، أي الزنا).

ولقد انتبه العلماء إلى الخطر الكبير الذي يحيط بالبشرية بسبب الانتشار

---

(١) مع الطب/ د. عبد الحميد دياب و د. أحمد قرقوز. وهو رسالة جامعية لنيل إجازة دكتور في الطب. ص ١٦٧ ومابعدها.

السريع لهذه الأمراض، بعد أن انخفضت معدلاتها إثر اكتشاف البنسلين. فعقد مؤتمر عالمي ضخم في أمريكا عام ١٩٦٤ لبحث الأمراض الزهرية، حضره (١٥٠٠) اختصاصي من خمسين دولة، جمعت محاضراتهم بكتاب اسمه (أعمال المؤتمر العالمي للزهري) ونتائج أبحاثه تبين أن الزهري تصاعد في ٧١ دولة من أصل ١٠٥ دولة دُرست فيها الأمراضُ هذه، وذلك في المدة بين ١٩٥٠ ـ ١٩٦٠ وأكثرها أوربية.

كما بين أن إصابات الزهري (السفلس) في أمريكا عام ١٩٥٧ بلغ عددها (٧٦٠٠) وارتفع عام ١٩٦١ إلى (٢٠٨٠٠) إصابة، ثم تزايد إلى ثلاثة أضعاف خلال أربع سنوات فقط، وهو تزايد رهيب ومفزع. وأما إصابات السيلان (التعقيبة) فهي مليون إصابة سنوياً في أمريكا وحدها. وفي عام ١٩٥٣ قدروا الإصابات بالسفلس في العالم بحوالي عشرين مليون إصابة، والحبل على الجرار.

والأمراض الجنسية كثيرة، منها:

١ ـ الافرنجي (السفلس)[١]:

مرض خطير يُسببه جرثوم يشبه الأفعى بشكلها وحركتها وخبثها، يقال لها: اللولبية الشاحبة. وسماها الدكتور خالص جلبي: أفعى الزنا[٢]. ويصاب المريض به بالعدوى، والسبب الرئيسي للعدوى هو الدعارة، أي الزناء بالمومسات وباللواطة. تصل الأفعى إلى الجسم وتكمن ثلاثة أسابيع دون أعراض، ثم تعطي علامات الإصابة شيئاً فشيئاً، كظهور القرح على الأجهزة التناسلية من الرجل أو المرأة، وضخامة العقد البلغمية. وبعد ذلك يتبقع الجلد ويتقرح ويتورم، وتظهر اللوحات المخاطية على الشفتين واللسان والفرج. والعلامة البارزة على اللسان طلاء أبيض يمكن أن يتحول إلى سرطان اللسان.

---

(١) المصدر السابق ص ١٦٩.

(٢) الطب محراب للإيمان ج٢ ص١٦٧.

ثم ينتقل المرض إلى الأحشاء فيتضخم الطحال وتصاب الكليتان والكبد والسحايا والدماغ والحنجرة، دون ضجة، ثم تتحول إلى آفات مخربة تبدأ بارتفاع الحرارة، والصداع، وآلام بالعظام. ويتحول الجلد إلى ندبات، ودرنات، وصموغ، وربما لا تظهر أضرارها إلا بعد عشرين سنة، مما أرعبت وأخطرت المصابين.

والسفلس المتأخّر يصيب القلب والأبهر والكليتين والمعدة والخصية والكبد بتخريبات مفزعة.

والمصابة من النسوة بالسفلس تعرّض جنينها للعدوى به، أو يسبب لها الإجهاض. هذا إن لم يحولها المرض إلى عقيم، وقد ينجو الجنين من الموت فتلده أمه حاملاً المرض لذريته، كل هذا بسبب الأم الزانية، أو التي زنا زوجها ثم جامعها.

والسفلس مازال يفتك بصفوف الزناة من الجنسين، على الرغم من حداثةِ الطب وكثرة الأدوية، وذلك لوجود الحرية الجنسية، والاتصال المحرم واللواط، وانعدام الأخلاق، وذهاب الإيمان من القلوب، وانتشار الداعرات المتسترات بأسماء كثيرة.

٢ـ السيلان (التعقيبة)[١]:

ويسمى التهاب الإحليل، سببه الاتصال الجنسي المحرم بامرأة مصابة به، أو العكس. وعدواه سريعة، وربما أصاب الفتيات العذراوات البريئات باستعمالهن المناشف الملوثة. وتعيش الجراثيم بفروجهن أشهراً وسنين قد تصل إلى عشر سنوات.

والأم المصابة به قد تصيب عين ابنها أثناء الولادة بالتهاب الملتحمة. وأضراره كثيرة ومؤلمة: كتقيح مع حرقة بولية، وتوضع الالتهاب على ثنايا المهبل وعنق الرحم. والتهاب الحشفة عند الرجل والبروستات، وأجهزة

---

(١) مع الطب/ د. دياب وقرقوز/ ص١٧٢.

الخصيتين، فقد تسبب له العقم وغير ذلك من الأضرار والايذاء، كالتهاب الجلد والمفاصل والقلب والأوعية.

٣ـ القرح اللين[١]:

وهو مرض زهري ينتقل عن طريق الزنا ويصيب الأعضاء التناسلية، ويتصف بقروحه المؤلمة تجعل المصاب يصرخ من ألم شديد يلازمه.

٤ـ الورم الحبيبي الاربي[٢]:

وينتقل بالاتصالات الجنسية المشبوهة، ويتظاهر بشكل عقد تتوزم وتتقرح وتشكل أوراماً.

٥ـ النمو المغبني الالتهابي الجنسي[٣]:

ويتظاهر بحويصلات صغيرة على القضيب، تحوي هذه الحويصلات سائلاً قيحياً، يتحول بعد ذلك إلى تورمات مؤلمة جداً، وتشوّه الجهاز التناسلي.

٦ـ التهاب المهبل بالدويبات المشعرة[٤]:

وهذا الالتهاب ينتقل إلى الإحليل عند الرجل، ويظهر بسيلان قيحي مع حكة فرجية وحرقة بولية. وسببه الاتصالات المحرمة.

وهذه الأمراض الفتاكة أعجزت الأطباء في القضاء عليها، وما تركوا وسيلة في مكافحتها إلا وجربوها فما أفلحوا، استخدموا البنسلين ففشلوا، وحصروا المومسات في أماكن خاصة ففشلوا أيضاً، وأطلقوا سراحهن فنشروا الأمراض أكثر، وقالوا بالإباحية فازداد الوباء، وجربوا كل امكانياتهم فباؤوا بالفشل. إلا علاجاً واحداً فما ذكروه، وهو أمر الله تعالى: ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم، ذلك أزكى لهم، إن الله خبير بما يصنعون. وقل

---

(١) الأمراض الجنسية/ د. نبيل الطويل/ ص٣٧

(٢) المراجع السابقة.

(٣) المراجع السابقة.

(٤) مع الطب/ ص ١٧٥.

للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن﴾[1].

فلو جربوه لهذب أنفسهم، وأبعدها عن الرذائل، وصانها من جميع الأمراض المذكورة وغيرها.

٧ـ أمراض اللواطة[2]:

وتصيب الفاعل والمفعول به، وهي جميع الأمراض المذكورة (السفلس والسيلان، والقرحة اللينة، والورم الاربي)، والجرب والقمل وغيرها. ويصاب المفعول به بارتخاء عضلات المستقيم أو تمزيقها فيتغوط كالمسهِّل دون أن يسيطر على خروجه. ويصاب بالتخنث حيث يطلب لائطاً له ويسمى هذا المرض بالمازوخية[3] وبأسماء دونية أخرى.

واللوطي، فاعلاً كان أو مفعولاً به، لا يميل إلى زوجته، بل يبحث عن لوطي مثله فتحصل الشذوذات، كأن تسعى هي لزانٍ بها، هذا إن لم تطلب طلاقها لتحفظ شرفها، أو ترضى أن يجامعها زوجها في دبرها، إن لم تعف. واللوطي يمكر بزوجته فقد يباغتها من دبرها، والدبر مجمع الجراثيم المحطمة له ولها، وهو بسفالته وعقدته النفسية هذه غير ملتذّ بها. وللأسف الشديد إن انتشار اللواطة يكسح جميع الدول الراقية ـ على زعمهم ـ وغير الراقية. وخذ من أوربة دولة متقدمة كبريطانية على سبيل المثال فحوالي ٦٠٠ ألف غلام يلاط بهم طلباً للمال، وقانونها يبيح اللواطة، ودول أخرى تحمي اللوطيين ويدّعون التقدم!

ويكفي العاملين على منهج الإسلام شرفاً، أن الله حرم في القرآن الكريم هذا الانحطاط الخلقي وسماه فاحشة، فقال تعالى: ﴿ولوطاً إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة؟ ما سبقكم بها من أحد من العالمين﴾. [الأعراف/ ٨٠] وقال تعالى:

---

(١) النور / ٣٠.

(٢) انظر مع الطب/ ١٧٦ـ١٧٧/ . والأمراض الجنسية ص ٣٩.

(٣) نسبة إلى ساشر مازوخ وهو كاتب ألماني مجّد هذا الانحراف في مؤلفاته. انظر كتاب الانتصارات المذهلة لعلم النفس الحديث تأليف بيير داكو وترجمة وجيه أسعد ص٥٧٨ ـ ٥٨٩ / ط مؤسسة الرسالة في الدار المتحدة.

﴿ولا تقربوا الفواحش ماظهر منه وما بطن﴾. [الأعراف/ ١٥١]. وصدق الله العظيم: ﴿الخبيثات للخبيثين، والخبيثون للخبيثات﴾. وقال تعالى: ﴿الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة، والزانية لا ينكحها إلا زانٍ أو مشرك، وحرّم ذلك على المؤمنين﴾. [النور/ ٣]. لأن المؤمن في باطنه وظاهره عبارة عن صرح شاهق من الأخلاق الطيبة. أما غير المؤمنين ـ أينما كانوا ـ فالانهيار الكامل للأخلاق فيهم، لاسيما دول الغرب وأمريكا، وإن المجتمعات التي تسيطر عليها النزعات البهيميه لا يمكن أن تكون متحضرة مهما تقدمت في الصناعة والاقتصاد والعلم. والجاهلية المتطورة في أوربا وأمريكا ينتشر فيها هذا الانحراف الجنسي الشاذ، انتشاراً ذريعاً. والدعوة العريضة التي حملتها على عاتقها الصهيونية العالمية أن تدمر الحياة الإنسانية بإشاعة الإنحلال العقيدي والأخلاقي، فلم يبق في دول لا تسمع كلام الله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم ضابطٌ واحد للاختلاط الجنسي الكامل بين كل ذكر وأنثى، كما في عوالم الحيوانات والحشرات، وهذه الفواحش يرتفع معدلها بارتفاع الاختلاط ولا ينقص، فارتفعت البلايا والأخطار والمصائب المرضية، ولا يقتصر على الشذوذ بين الرجال فقط، وبين النساء، بل يتعداه إلى أن يشذ هؤلاء مع البهائم كالكلاب والقردة، فهل ترى أخسّ من امرأة تنام تحت كلب أو قرد، ومن رجل يحتضن الرذيلة احتضان الدجاجة بيوضها؟

* * *

أمراض خطيرة وأخطرها الايدز فما هو؟

قصة الايدز:

في عام ١٩٨١ في أمريكا اللاتينية، ظهرت على فئة من الشباب الشاذين جنسياً، عوارضُ مرضية ملفتة للنظر.. إصابات إنتانية في الرئتين، أو الجملة العصبية، أو الجهاز الهضمي، أو الجلد، لم تشاهد من قبل إلا على بعض المرضى، لانهيار المناعة عندهم لأسباب معينة. وللإصابة بالسرطان من نوع نادر يدعى سرطان كابوزي...

ويقول الأطباء(١): هذه الظواهر المرضية ليست جديدة بحد ذاتها، بل الموضوع الجديد فيها:

١ـ تطورها الخطير الذي كان يؤدي بأصحابها إلى الموت المحتم.

٢ـ ظهورها المفاجيء المتزايد لدى فئة خاصة من الناس ليس لديهم أي سبب معروف من قبل يفسر عوز المناعة الحاصل لديهم. ومن أجل رصد وحصر الإصابات الجديدة، فقد وضع مركز مكافحة الأمراض، في الولايات المتحدة الأمريكية، تسمية هذه الظاهرة، فأطلق عليها اسم متلازمة العوز المناعي المكتسب، وهي ترجمة لأربع كلمات باللغة الانكليزية، أخذت الحروف الأولى من كلماتها فشكلت المصطلح المتداول (الايدز).

وحددت المعايير المطلوبة لتشخيصها بالتالي: (حدوث أخماج انتهازية، أو ورم كابوزي ـ سرطان ـ لدى شخص عمره أقل من ٦٠ سنة ليس لديه أي حالة

---

(١) انظر كراس الوقاية من مرض نقص المناعة المكتسب ـ الايدز. من منشورات وزارة الصحة السورية عام ١٩٩٢/ ص٩.

مرضية، أو يأخذ أية معالجة دوائية مؤهبة لحدوث نقص المناعة لديه: (الايدز).

بعد ذلك بدأ المرض ينتشر أكثر فأكثر جغرافياً وبشرياً. فتخطى أمريكا إلى أوربة وأفريقية وهاييتي، وتعدى الشبان الشاذين جنسياً ليصيب غيرهم، كالتالي:

مدمني المخدرات بالحقن الوريدية، ومرضى الناعور وهم الذين بحاجة لنقل الدم، والنساء اللواتي يتصلن جنسياً بهؤلاء المصابين، والأطفال المولودين من المصابات بالايدز.

وأعراض الإصابة بالايدز تظهر: بترفع حروري مديد، ونقص بالوزن، وإسهال مزمن، وتعرق دائم، وضخامة عقد لمفاوية، وأمراض جلدية معينة، وبغير ذلك.

أسباب الايدز:

مرض جديد دوّخ أطباء العالم فاستنفروا لتقصي العامل المسبب، فخرجوا بمعطيات توفرت عن ظهوره أنه يصيب جهاز المناعة وينتشر بشكل وبائي عند فئات خاصة، وينتقل بطريق الإتصال الجنسي.

وتصور معظمهم أنه فيروس، مسرطن محدث للعوز المناعي، عندما يدخل إلى جسم الإنسان يصيب أنواعاً من الخلايا في الجهاز المناعي والجهاز العصبي، فينهار الجهاز المناعي ويصبح الجسم عرضة لمختلف الإصابات الانتهازية التي تقضي على أصحابها في النهاية.

وينتقل بالعدوى عن طريق الدم، أو المني، أو مفرزات المهبل وعنق المهبل. ويقول الدكتور محمد كمال عبد العزيز في كتابه نظرات طبية ص ٣١: (سبب المرض وطريقة انتقاله: ومن الثابت حتى الآن أن أهم أسباب انتشار المرض والعدوى، بفيروسه اللعين هو الشذوذ الجنسي وفعل قوم لوط. ويرجع السبب إلى وجود فيروسات توجد في السائل المنوي، فتصيب المفعول به وتسبب له هذا المرض.

وهناك رأي آخر يقول: إن ظهور هذه الفيروسات (C.A.V و E.B.V) هي نتيجة لنقص المناعة وليست سبباً.

أما الدكتور علي مطاوع، أستاذ الأشعة وأوّل عميد لكلية الطب بالأزهر، فإنه يرى أن السبب يرجع إلى مادة (البروستاجلاندين) الموجودة في المني، وهذه المادة إذا امتصت ووصلت إلى الدورة الدموية فإنها تسبب نقصاً في المناعة. ومن هنا جاءت حكمة تحريم إتيان النساء في الدبر. ووجود هذه المادة في المني يفسِّر السبب في اعتزال النساء أثناء الحيض لأنه أثناء الحيض يسقط الغشاء المخاطي المبطن للرحم ليستبدل بآخر جديد، وفي هذه الأثناء لا توجد المادة المضادة للبروستاجلاندين الذي يفرزها هذا الغشاء، وبذلك يكون هناك خطورة من امتصاص مادة البروستاجلاندين وحصول مرض نقص المناعة حيث تؤثر هذه المادة على الخلايا اللمفاوية وتكوينها. هذا هو رأي الدكتور علي مطاوع الشخصي وهو يحتاج إلى تجارب معملية لمعرفة المواد الموجودة في المني وهل يوجد في إفرازات الرحم ما يفسد مفعولها وبهذا يتبين حكمة تحريم الشذوذ الجنسي وتحريم إتيان الدبر وايتاء النساء أثناء المحيض... ولا يخجل الإعلام الأمريكي وهم يعلنون أنباء الممثل الأمريكي المصاب بالايدز روك هدسون أنه كان متزوجاً من رجل مثله بعقد مدني. ولا يقتصر على الشذوذ بين الرجال فقط بل يتعداه إلى الشذوذ بين النساء. والعجب منهم يتظاهرون ويصرخون للكشف عن علاج له ولا يرتفع صوت واحد منهم يطالب بتحريم الشذوذ الجنسي وتحريم الزنا؟! وإن الوقاية من مرض الإيدز خير من علاجه ألف مرة. وقد علم سببه وهو: فوضى العلاقات الجنسية، ومحاكاة الكلاب كامتصاص الذكور وشرب السائل المنوي. فلا يمكن أن يدخل هذا الفيروس الخبيث إلى جسم إلا عندما يتصل دم شخص مصاب، أو سائله المنوي، أو الإفرازات المهبلية بدم شخص آخر، أو بأغشيته المخاطية في المهبل، أو الشرج، أو القضيب، أو الفم.

عوامل انتشاره:

أهم عوامله عن طريق العدوى بالاتصال الجنسي الشاذ بين رجل ورجل ـ أي لواطة ـ أو الاتصال الطبيعي من امرأة إلى رجل، ومن رجل إلى امرأة ـ أي زنا ـ وهو أكثر طرق العدوى شيوعاً بحيث يشكل ٩٠٪ من الإصابات. أو

باتصالات قذرة يستحى من ذكرها. وعوامل تزايده أكثر هو بمضاجعة البغايا، وتعدد الرجال على امرأة واحدة، واللواط، ووجود أمراض تناسلية، واستخدام الإبر والمحاقن الملوثة عند متعاطي المخدرات بالأوردة، وتحدث العدوى من خلال الأم إلى جنينها من الرحم أو أثناء الولادة.

وقالوا إن الحيوانات، كالكلاب والقطط وغيرها، تحتضن الفيروسات المسرطنة المحدثة لحالات من عوز المناعة، وقد عزل أول فيروس مسرطن من هذه الحمات لدى الإنسان عام ١٩٨٠، وهكذا نرى أن فيروس العوز المناعي البشري ينتشر بعوامل بشرية. فيمكن للإنسان التحكم به، وذلك بقطع أسبابه والكف عن عوامله.

نتائجه:

يصاب المريض به بنقص الوزن أكثر من ١٠٪، وبالفتور والتعب والوهن، ونقص الشهية والحمى والتعرق الليلي والإسهال والحكة وتضخم الطحال. وبالأخماج الفيروسية والطفيلية التي تصيب الجلد والأغشية المخاطية، في الفم والشفة وأعضاء التناسل، ثم الأورام الخبيثة.

والايدز يمثل أوخم المراحل السريرية، ويمثل ظهوره بداية النهاية للمريض نتيجة العوز المناعي.

ثم يتمرحل المرض من سيء إلى أسوأ فإلى الموت المحتم.

الوقاية من الايدز:

أقوى حامي للإنسان من الإصابة بالايدز أن لا يقرب مطلقاً من العوامل المذكورة. وإن كان مبتلى ببعضها فليقلع فوراً عنها تائباً إلى الله تعالى ومتبعاً الخطوات التالية:

١ـ أن يطبق القواعد الصحية الأساسية لمكافحة العدوى، كالفحوص المخبرية للتحري عن الأمراض المنقولة جنسياً، وبصورة خاصة من فيروس العوز المناعي البشري المكتسب (الايدز).

٢ـ فإن ظنّ نفسه مصابة به فليعمل على عزل المرض بأخذ الاحتياطات اللازمة بشكل دائم مثل: غسل اليدين ومفرزات الجسم جيداً، بالماء والصابون، والتطهر دائماً غسلاً ووضوءاً، ونظافة البدن والثياب والمكان الذي يقيم فيه. ومتابعة التداوي، وخاصة إن ظهرت العلامات السريرية، فقد يكون شك ووهم اعتراك، فحسبْتَ أنك قد وقعت فيه.

٣ـ وإن لم تظن الإصابة وحماك الله أيها الإنسان من أخطار الإيدز فاحمد الله، لأنك في بلاد بفضل تعاليم الإسلام والحفاظ على الأخلاق الإسلامية، محصنة من الوقوع بهذا المرض الذي أعجز الأطباء جميعاً أن يكتشفوا دواء له.

٤ـ ونحن معاشر العرب والمسلمين ما زلنا في حصن حصين وحرز أمين من الايدز الفتاك بما وفقنا الله للتمسك به ـ القرآن الكريم والسنة المحمدية، والأخلاق الاسلامية الكريمة ـ وبالتوعية الصحية المرافقة لأداء عباداتنا من طهارات وحرمة منهيات، يحثنا على الحفاظ عليها دين الاسلام، والفقهاء بدورهم يحثون على فهم المعلومات الدينية والصحية والعمل طبقاً لها. وإن بمقدرة مبلّغ الإسلام على كسب ثقة المجتمع وصداقته، وقدرته على الإقناع وتغيير السلوك غير السليم والتأكيد على السلوك السويّ ويستطيع تحقيق الغاية من التوعية الصحية، وتصنيع الوقاية والعلاج من هجمة هذا الوباء المدمر. ولو أنه مرض لا علاج له فإن سلوك طريق الإسلام هو الطريق الوحيد، والكافل الأوحد، الذي يعلم الناس كيف يمكن الوقاية من عدوى الإيدز، وكيف يمكن منع انتشاره، وكيف نحمي وطننا من غزوه.

٥ـ والسعيد من يتعظ بغيره، والشقيّ من اتعظ به غيره. وحسب المسلمين موعظة أن يروا في غيرهم الإيدز مصيبة العصر الحديث في أوربا مرض الرعب، الذي يهدد إنسان الغرب بالفناء، ويجعلهم يعيشون الآن حياة الهلع والجزع. هذا المرض ـ مرض الفشل المناعي أي فشل جهاز المناعة في دم وخلايا الإنسان ـ الذي ماعرف تاريخ الطب أخطر منه. ومريض الايدز يتحول بعد إصابته به إلى مجرد هباءة لا يكاد يحتمل أو يصمد أمام أضعف الأمراض، فيقع صريع الموت أمام

نزلة برد، أو أقل ميكروب، وأضعف فيروس. نسأل الله اللطف والحفظ والنجاة.

إنها عظات وعبر، لمن يتفرس ويتأمل، ويجد العبرة في مصارع الآخرين. وإن في ذلك لذكرى، لمن ألقى السمع وهو شهيد، ولعبرة لأولي الأبصار.

* * *

التحريم خشية المرض... أم لماذا؟

سؤال يستدر الإطناب، ويقول: هل من مزيد؟ ولكن لا مناص من الإيجاز.

إن نظرة دين الإسلام إلى الجنس: نظام كامل في حقوق الرجل والمرأة، لا تجد فيه عوجاً ولا أمْتاً، ولا تتخلله فجوة أو ثغرة. وإذا أنعمت من قبلك النظر في نهي الإسلام عن اقتراف أمر، تجد الأمر المنهي عنه يتعارض مع الفطرة.

وماحرَّم الإسلام العلاقة الآثمة بين الجنسين إلا لأنها تكسح هذه الفطرة من أصولها، وتبيد آثارها.

لهذا أحل الله الزواج تحقيقاً لهذه الفطرة ورعاية لآثارها، وحرم الزنا واللواطة والإتصال المحرم، لأنها تدمر جسم المجتمع بعدوى الأمراض الخبيثة كما رأيت، وتقهر كل فرد بمصابها. وتختلط الأنساب فيضيع الأبناء بجريرة صنع الآباء، ولا أخطر من انفصام العرى بين الأبوة والبنوّة.

وتتشتت المسؤوليات التي يقوم عليها كيان الأسرة، فمن يكسو ويطعم وينفق على المولود حراماً؟.

وهذه الجرائم القذرة تلغي الأهداف الإنسانية والإجتماعية المرسومة من وراء قيام الزواج الشرعي.

فالله سبحانه وتعالى رسخ علاقة الرجل والمرأة بالطريق الشرعي، ومنع العلاقة الجنسية بين رجل ورجل أو بين امرأة وامرأة، أو بين الجنسين المختلفين بالطريق الحرام.

فبين في كتابه الجليل الأحكام منذ الخطبة إلى نهاية الحياة الزوجية، شارحاً الأسس الطبيعية لحقوق الأسرة.

وزجر ربُّنا كُلَّ دخيل على هذا النظام، وكل معكّر لصفوه، وردعه بالحدود

تقام عليه إن زنا أو لاط أو شذ في الحياة الدنيا، وفي هذه مافيها من تقريع له ولمن تسول له نفسه انتهاك أعراض الآخرين. وتوعّده بأليم العذاب في الحياة الآخرة في جهنم وبئس المصير.

وهذا مايدرس في نطاق الكبائر، المشكلة الجنسية، كما سيأتي ملخص عن ذلك فيما بعد.

أما على الإنسان أن لاينسى أنه عبد لله تعالى لا يملك من الأمر إلا ماأطلق الرب يده فيه، فمن غمر الإيمان قلبه، يسلِّم إلى الله تالياً قوله تعالى: ﴿وماخلقت الجن والانس إلا ليعبدون﴾[1]. فلا يبحث المرء في المحلل والمحرم لماذا، ولِمَ، وكيف... وغير ذلك، سوى أنه يطيع ويستجيب لله تعالى. لأن الإيمان جعله في رضى عن نفسه وعن ربه.

رضي عن نفسه لأنه مخلوق بأمر الله عز وجل فهو ليس أمراً سدى، ولا هباءً منثوراً، ولا كياناً مُهمَلاً وتافهاً، ويتجلى ذلك في عناية الله له من قبل أن يخلقه، ولما خلقه وإلى أن ينشره على الأرض خليفة له في إعمارها، وإلى أن يميته ويبعثه ويحشره، ويقرر مصيره إلى الجنة أو إلى النار.

ورضي عن ربه لأنه آمن بكمال الله وجماله وأيقن بعدله ورحمته، واطمأن إلى علمه وحكمته، فهو سبحانه لم يخلق شيئاً لهواً، ولم يأمر بشيء لعباً... فلسان حال كل عبد مؤمنٍ علمَ يقيناً أنه لم يخلق بإرادة منه، وبحرية يتمتع بها. بل الإنسان مقيّدٌ بحكم ربه عليه، فيحدد جنسه ويؤقت ميلاده، ويفرض عليه طولاً وعرضاً ولوناً معيناً، ومن أبوين معينين وأنه سيعيش عمراً لا يزيد ولا ينقص، وأنه لا محالة ميت في الميتين ومحشور إلى الحساب في المحشورين، فلسان حاله يقول كلام الله عن أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام: ﴿رب العالمين، الذي خلقني فهو يهدين، والذي هو يطعمني ويسقين، وإذا مرضت فهو يشفين، والذي يميتني ثم يحيين، والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين، ربِّ هب

---

(١) الذاريات/ ٥٦.

لي حكماً وألحقني بالصالحين﴾. [الشعراء/ ٧٧ـ٨٣]. وبهذا الرضا وهدأة اليقين، يقول عرفت وآمنت: لِمَ حرّم الله الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وأعرّف غيري قائلاً: إنما أراد الله محاربة الحيوانية التي لا تفرق بين جسد وجسد، أو لا تهدف إلى إقامة بيت وبناء عشٍّ، وإنشاء حياة مشتركة، لا تنتهي بانتهاء اللحظة الجسدية الغليظة.

وأن يقيم العلاقات بين الجنسين على أساس من المشاعر الإنسانية الراقية، التي تجعل من التقاء جسدين التقاء نفسين وقلبين وروحين. وبتعبير شامل: التقاء إنسانين تربط بينهما حياة مشتركة، وآمال مشتركة وآلام مشتركة. ومستقبل مشترك، يلتقي في الذرية المرتقبة، ويتقابل في الجيل الجديد الذي ينشأ في العش المشترك، الذي يقوم عليه الوالدان حارسين لا يفترقان.

من هنا شدد الاسلام في عقوبة الزنا بوصفه نكسة حيوانية تذهب بكل هذه المعاني، وتطيح بكل هذه الأهداف، وترد الكائن الإنساني مسخاً حيوانياً لا يفرق بين أنثى وأنثى، ولا بين ذكر وذكر، مسخاً كل همه إرواء جوعة اللحم والدم في لحظة عابرة.

فإن فرق وميّز فليس وراء اللذة بناء في الحياة، وليس وراءها عمارة في الأرض، وليس وراءها نتاج ولا إرادة نتاج، بل ليس وراءها عاطفة حقيقية راقية، لأن العاطفة تحمل طابع الاستمرار، وهذا ما يفرقها من الانفعال المنفرد المتقطع الذي يحسبه الكثيرون عاطفة يتغنون بها، وإنما هي انفعال حيواني يتزيى بزيّ العاطفة الإنسانية في بعض الأحيان.

إن الإسلام لا يحارب دوافع الفطرة ولا يستقذرها، إنما ينظمها ويطهّرها ويرفعها عن المستوى الحيواني، ويرقيها حتى تصبح المحور الذي يدور عليه الكثير من الآداب النفسية والاجتماعية.

فأما الزنا ـ وبخاصة البغاء ـ فيجرد هذا الميل الفطري من كل الرفرفات الروحية والأشواق العلوية، ومن كل الآداب التي تجمعت حول الجنس في تاريخ البشرية الطويل، ويبديه عارياً غليظاً قذراً كما هو في الحيوان، بل أشد غلظاً من

الحيوان. ذلك أن كثيراً من أزواج الحيوان والطير تعيش متلازمة في حياة زوجية منظمة بعيدة عن الفوضى التي يشيعها الزنا في بعض بيئات الإنسان.

قال تعالى: ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها، وجعل بينكم مودة ورحمة، إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾. [الروم/ ٢١].

وقال تعالى: ﴿هو الذي خلقكم من نفس واحدة، وجعل منها زوجها ليسكن إليها، فلما تغشاها حملت حملاً خفيفاً فمرت به، فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحاً لنكونن من الشاكرين﴾. [الأعراف/ ١١٩].

وقال تعالى: ﴿هن لباسٌ لكم وأنتم لباس لهنّ﴾. [البقرة/ ١٨٧].

وقال تعالى: ﴿ذكر رحمة ربك عبده زكريا، إذ نادى ربَّه نداءً خفيّاً، قال ربِّ إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيباً ولم أكن بدعائك ربِّ شقياً، وإني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقراً فهب لي من لدنك وليّاً، يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله ربّ رضيّاً﴾. [مريم/ ٢ـ٦].

فألقِ يا أخي نظرات إلى الواقع مستهدياً روح الإسلام تجد الإسلام قد حل المشكلات الجنسية حلاً عادلاً.

فالغريزة في الإسلام نظام، وفي غيره فوضى. لأن الإسلام بنى دعائم المجتمع على قيم ونظم فريدة انعدمت من غيره.

وأنت تلاحظ من الآيات السابقة أن الغاية من المعاشرة الجنسية ليس الإرواء الغريزي فقط بل للحصول على السكينة الحياتية ونشر التواد والتراحم، والنسل المجدد للإنسانية والقاضي باستمرارها من خلال وجود الذرية الصالحة القائمة بالإعمار، ويحصل هذا من الالتفاف بين الزوجين على بعضهما، وينتجان الولد الصالح الوارث للعلم والإيمان عنهما، والاسم والخلق الكريم الذي اتّسما بهما. انظر إلى قوله تعالى: ﴿هن لباس لكم وأنتم لباس لهن﴾. [البقرة/ ١٨٧]، في هذه الكلمات المعدودات تصوير بارع لعلاقة الجسد وعلاقة الروح في آن واحد، فاللباس ألصق شيءٍ ببدن الإنسان، وهو الستر الذي يستتر به، وهو في الوقت ذاته مفصل على القد لا ينقص ولا يزيد، والرجل والمرأة ألصق شيءٍ ببعضهما

ببعض، يلتقيان فإذا هما جسد وروح واحدة، وفي لحظة ما يذوب كلٌّ منهما في الآخر فلا تعرف لهما حدوداً، وهما أبداً يهفوان إلى هذا الاتصال الوثيق، الذي يشبه إتحاد اللباس بلابسه. ثم هما ستر، كل واحد للآخر، فهما من الناحية الجسدية ستر وصيانة، وهما على الدوام ستر روحي ونفسي، فليس أحد أستر لأحد من الزوجين المتآلفين، يحرص كلّ منهما على عرض الآخر وماله ونفسه وأسراره، أن ينكشف منها شيءٌ فتنهبه الأفواه والعيون.

وهما كذلك وقاية تغني كلاً منهما عن الفاحشة وأعمال السوء كما يقي الثوب لابسه من أذى الحرّ والبرد. وهما بعد ذلك كاللباس في تفصيله مضبوطاً على قدّه، يلبسه صاحبه فيستريح إليه، ويتحرك نشيطاً في محيطه، ويكتسب به زينة وجمالاً تعجب صاحبها وتعجب الناظرين.

فليس أروع من تصوير هذه المعاني كلها في تشبيه واحد شامل عميق، وما من شك في أن منهج الإسلام في جعل الزواج حلاً طبيعياً ميسوراً لمشكلة الغريزة. فلو أحسن الناس الأخذ به لكان فيه سعادة الفرد وحماية المجتمع وطمأنينة الحياة. ولكان فيه القضاء على نزعات الفوضى التي ما تزال تشقى بها المجتمعات في الشرق والغرب. والذي يطالع مواقف المجتمعات المادية المعاصرة يذهله ما يراه من مشكلات معقدة حول الغريزة، وقضية الجنس فيها تشغل الجميع من تلميذات المدارس وتلاميذها إلى الشباب والشابات والكهول، وذوي الشخصيات اللامعة، حتى الزواج في هذه المجتمعات التي تشيع فيها الفواحش يعجز عن حلّ مشكلة الغريزة. وها هي مخازي الغرب تملأ الأرجاء وأبشعها تبادل الزوجات في أمريكا، واستقدام الرجل ليضاجع زوجته وغير ذلك مما شاع في الغرب المنهار أخلاقياً.

بني قومي . . مؤامرة قبيحة

غزو خطير ـ لا أخلاقي ـ وبسهام مصوّبة، ومشحوذة بسموم قتالة: مؤامرات مدبّرة ضد مجتماعاتنا النظيفة، يعمدون إلى تدميرها، وتحطيم شعوبنا.

مخططوا الصهيونية العالمية يغزون الأمم في أخلاقها وفضائلها. . فلقد اتفقوا على أن يسيطروا على العالم، فيما قرروه في بروتوكولات حكماء صهيون[1]: على أن من السبل التي يجب اتباعها لإخضاع الأمميين هي الحرب الأخلاقية، المتمثل بتقويض نظام الأسرة بشتى الوسائل الممكنة.

ووجدوا أن الأسباب المدمرة للأسرة كل ألوان الإغراء الجنسي، وإثارة الشهوات.

فصنعوا الأفلام الخليعة الماجنة التي تثير الشهوات وتحرك النوازع السفلى، ونشروها في العالم، والساعي على النشر دور صهيونية.

والأزياء الميكروبية الفاحشة: التعري بأنواعها وأشكالها المغرية تتميز بها دور الأزياء الصهيوينة والمجلات الجنسية، والقصص الغرامية المثيرة، وما تحويه من صور عارية تصدرها دور طبع يهودية.

قال تعالى: ﴿ويسعون في الأرض فساداً والله لا يحب المفسدين﴾. [المائدة / ٦٤]. ومن ذلك على سبيل المثال أن من أهم دور الأزياء في باريس عشرة دور أصحابها يهود. أما القرآن الكريم فيحذر الناس، ويجعل الزنى قرين الشرك والقتل، فيقول تعالى: ﴿والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون

---

(١) راجع كتاب / ماذا عن المرأة/ للدكتور نور الدين عتر / ص ٣٩ـ٤٠/ فقد بحث فيه أبحاثاً قيمة جديرة بالقراءة.

النفس التي حرّم الله إلا بالحق ولا يزنون، ومن يفعل ذلك يلق أثاماً، يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً﴾. [الفرقان/ ٦٨ـ٦٩].

ويشدد عقوبة الزاني الأثيم المادية والمعنوية. فالعقوبة المادية العذاب الأليم، والمعنوية أن لا نرأف به ولا نشفق عليه حتى يبرأ من جريرته ويتوب منها. فقال سبحانه: ﴿الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة، ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله، إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين﴾. [النور/ ٢].

فالشرع حكيم غاية الحكمة، فلم يترك أسباب الزنى وبواعثه تعيث في الأرض الفساد، بل سد منافذ الشر سداً محكماً، وأقفل ذرائع الفاحشة بأحكم الأقفال، فحرم كل عادة وكل ظاهرة تثير الفتنة الشهوية وتهدي إلى نار المخالفة والعصيان.

أما الصهيونية وحضارة أوربة المزيفة فيصدرون إلى كل الأنحاء الفوضى الاجتماعية التي تسمى كذباً الحرية الشخصية، تلك الفوضى التي ترغب صاحبها أن لا يتزوج، ولا يبني عائلة، بل يقضي حاجته الغريزية بالطرق الخبيثة. ويشدونه إليها بزج المتبرجات في أحضانه، بدعوى دراسة الوضع والتفكير والمزاج والملائمة والتفهم للحياة.

وفي النهاية يحصد أعداء أمتنا أن تحطمت الأسر، وهجرت حياتها، ونبذت الفضيلة، وعدم التكاثر، الذي سيحمي البلاد.

هؤلاء الأعداء الذين ينفقون الأرقام الضخمة على كل سبيل يشيع الخطيئة الجنسية ويروجها.

يريدون كل واحد أن يزني وكل واحدة أن تزني، لأن الزنا خيانة من الطرفين، وبالخيانة تنعم الخطط الماكرة وتتفاقم الويلات.

ولأن المرأة الزانية تُدخل على زوجها من ليس من صلبه، وهذا يؤدي إلى انحلال الأسرة، والتضييع للأولاد وإزالة أكرم العواطف وهي العاطفة الأبوية والبنوية، ومتى زالت هذه العاطفة فأي اعتبار عند الرجل يجعله يشعر بواجب

تربية أبنائه والاهتمام بمستقبلهم والتضحية بنفسهَ من أجلهم.

ومن العواقب الوخيمة لتفريط المرأة في الأمانة الجنسية، والعفة التناسلية: أن يوجد نسل لا يعرف له أبٌ معين، رحيم عطوف شفوق عليه، ويبذل له من نفسه ويفديه بروحه، وهذا ما يؤدي إلى شعور الولد بالشكوك تخمره حول حقيقة أبيه مما يؤدي إلى الأمراض النفسية والعصبية، كما أنه لا بد أن تموت العواطف في النسل فتموت الإنسانية.

هذا ما يهدفه الغزو اللاأخلاقي.. فحذار من التعرض لهذه التيارات ومن استملاح التقاليد الأجنبية، وإلا كثرت الفواحش، فتضعف روابط الأسرة وتتفكك وتضيع.

والنساء فخاخ الأشرار، قال ﷺ: «ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء». [متفق عليه].

وها هو العالم اليوم تحركه فوضى الغريزة المنجرفة، وتتحكم في سلوكه واتجاهه، منذ أشاع الغرب فتنته وإغراءه ووضع لهما القواعد والبرامج، وبدأ بالتنفيذ من قبل حبائل الشيطان النسوة.. بالدعوات الإباحية، والتيارات الخبيثة، والتمرغ في أفق حقيرة، من فتنة الجسد، وإثارة الغرائز.. وإشادة صروح البغي: ملكة الجمال الفائزة في العالم اليوم، ويريدون لكل يوم فضيحة جديدة..

قال تعالى: ﴿واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم، فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت، أو يجعل الله لهن سبيلاً، واللذان يأتيانها منكم فآذوهما، فإن تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما، إن الله كان تواباً رحيماً﴾. [النساء/ ٥٣].

الزنا جريمة والزناة مجرمون

الزنا حرام لأنه فاحشة فظيعة، وجريمة شنيعة، وهو من الكبائر التي يلحق فاعله وعيد شديد بنص كتاب الله وسنة رسول الله، ﷺ، وإيجاب الحد عليه، لأنه ارتكب جناية حرم الشرع عليه اقترافها وأوعده بالنار.

فالزاني مجرم لأنه أقدم على معصية زجر الحقُّ من يرتكبها.

فقال تعالى: ﴿ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا﴾. [الإسراء/ ٣٢]. أي لاتدنوا من الزنى، وقوله تعالى ﴿ولا تقربوا﴾ أبلغ من ولا تزنوا. والفاحشة ماعظم قبحه من الأفعال. وساء سبيلاً، أي طريق وخيم ونهايته وخيمة، فالزنا واللواط حرام قطعاً، لأنه من أبشع الفواحش التي حرمها الله، ولأنه يمحق كرامة الإنسان، وينحط به إلى حضيض البهيمية. فحذر الله الاقتراب منه، وأنزل بالمقترفين الحكم العدل والجزاء المناسب.

قال عز وجل: ﴿الزانية والزاني، فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة﴾. وهذا الحد من حقوق الله تعالى الخالصة له، أي من حقوق المجتمع لما يترتب على الزنا من اعتداء على الأسرة والنسل ونظام المجتمع.

وكما أن الزنا حرام، اللواط حرام أيضاً، بل هو أفحش من الزنا.

قال تعالى: ﴿ولوطاً إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة، ما سبقكم بها من أحد من العالمين﴾. فسمى الله تعالى اللواط فاحشة، وقال: ﴿ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن﴾. وقد عذب الله عز وجل قوم لوط بما لم يعذب به أحداً من الناس. وقال ﷺ: «من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به». [رواه أبو داود والترمذي وغيرهما].

والسحاق حرام أيضاً، وهو فعل النساء بعضهن ببعض، ويعزر فاعل

المساحقة، ولو كان ذلك بين رجل وإمرأة، أو بين رجلين. قال رسول الله ﷺ: «إذا أتى الرجل الرجل فهما زانيان، وإذا أتت المرأة المرأة فهما زانيتان». [رواه البيهقي]. وقال ﷺ: «سحاق النساء بينهن زنا». [رواه أبو يعلى والطبراني].

ويحرم الاستمناء، وهو استخراج المني بالدلك، أو بوسيلة أخرى. قال تعالى: ﴿والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم، أو ما ملكت أيمانهم، فإنهم غير ملومين﴾. وهذه العادة السرية محرمة لضررها الجسماني ولانشغال فاعلها بشهوته.

ويحرم إتيان الميتة والبهيمة. قال رسول الله ﷺ: «ما من ذنب بعد الشرك بالله أعظم عند الله من نطفة وضعها رجل في فرج لايحل له». [رواه أحمد والطبراني].

وورد أنه ﷺ قال: «خمسة يلعنهم الله تعالى، ولا ينظر إليهم يوم القيامة، ويقول ادخلوا النار مع الداخلين: الفاعل، والمفعول به، وناكح البهيمة، وناكح الأم وابنتها، وناكح يدِ إلا أن يتوبوا».

وقال ﷺ: «لا ينظر الله إلى رجل أتى ذَكَراً، أو إمرأة في دبرها». [رواه الترمذي والنسائي وابن حبان].

وقال عليه الصلاة والسلام: «ملعون من أتى حائضاً، أو إمرأة في دبرها».

وروى الشيخان: قال ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن.. فإذا فعل ذلك خلع ربقة الإسلام من عنقه، فإن تاب تاب الله عليه». وقال ﷺ: «يا أيها العرب، إن من أخوف ما أخاف عليكم الزنا والشهوة الخفيّة». [رواه الطبراني].

قال رسول الله ﷺ: «إن الله يدنو من خلقه فيغفر لمن يستغفر، إلاّ لبغيٍّ بفرجها، أو عشّار». [رواه أحمد والطبراني].

البغيّ: الزانية. والعشّار: الذي يجمع الضرائب ظلماً وباطلاً.

وروى الطبراني، أن ﷺ قال: «إنَّ الزناة تشتعل وجوههم ناراً».

وقال ﷺ: «الزنا يورث الفقر». [رواه البيهقي].

وروى البزار عن بريدة، رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «إنّ السموات السبع،

والأرضين السبع، ليلعنّ الشيخ الزاني، وإن فروج الزُّناة ليؤذي أهل النار نتنُ ريحها».

وروى البيهقي عن راشد بن سعد المقرائي، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله، ﷺ: «لما عُرِجَ بي مررت برجالٍ تقرض جلودهم بمقاريض من نار، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: الذين يتزينون للزِّنْيةِ. قال: ثم مررت بجبٍّ مُنْتِنِ الرّيح فسمعت فيه أصواتاً شديدة، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: نساءٌ كنّ يتزينَّ للزّنْيةِ، ويفعلن ما لا يحلّ لهنّ».

وروى الخرائطي عن أنس بن مالك، رضي الله عنه، عن النبيِّ، ﷺ، قال: «المقيمُ على الزِّنا كعابدِ وثنٍ».

وروى أحمد عن ميمونة، رضي الله عنها، قالت: سمعت رسول الله، ﷺ: يقول: «لا تزال أمتي بخير ما لم يفشُ فيهم ولد الزِّنا، فإذا فشا فيهم ولد الزنا فأوشك أن يعمهم الله بعذابٍ».

وروى الحاكم، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، عن رسول الله، ﷺ، قال: «إذا ظهر الزِّنا والرّبا في قرية، فقد أحلّوا بأنفسهم عذاب الله».

وروى أبو داود والنسائي وابن حبان، عن أبي هريرة، رضي الله عنه، أنه سمع رسول الله، ﷺ، يقول حين نزلت آية الملاعنة: «أيما امرأة أدخلت على قومٍ من ليس منهم فليست من الله في شيءٍ، ولن يدخلها الله في شيءٍ، ولن يدخلها الله جنّته، وأيما رجل جحد ولده وهو ينظر إليه احتجب الله منه يوم القيامة، وفضحه على رؤوس الأولين والآخرين».

وروى أحمد عن المقداد بن الأسود، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله، ﷺ لأصحابه: «ما تقولون في الزِّنا؟ قالوا: حرامٌ حرّمه الله عزّ وجلّ، ورسولُهُ، فهو حرام إلى يوم القيامة. فقال رسول الله، ﷺ لأصحابه: لأن يزني الرجل بعشرِ نسوة أيسر عليه من أن يزني بإمرأة جاره».

قوله ﷺ بزنا الزاني في عشر زواني لا يعني إلا بشاعة الزنا، وأقبحه وأشده إجراماً إن كان زناه بحليلة جاره، لأنه جمع إلى جريمة الزنا جريمة ثانية هي الخيانة بالجيران.

وهذا التوعد منه ﷺ إلى الجاني على جارته بالزنا أنصب عليه أولاً وهي غير ناجية منه، لأن النسوة ينخدعن بسرعة، وبحكم المجاورة قد يجرها إلى شباكه في غيبة لصيقهِ بالمسكن. لهذا كان عقاب هذه الفاحشة مضاعف مرات عديدة لأن الله تعالى أمر بإكرام الجار ورعاية حرمته، وأن يكون المرء حامياً لجيرانهم لا سارقاً لأشرف شيءٍ في حياتهم: أعراضهم.

وهذا ما روي بمعناه، في كتابي الخرائطي وابن أبي الدنيا، عن ابن عمر، رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «الزاني بحليلة جاره لاينظر الله إليه يوم القيامة، ولا يزكّيه، ويقول: ادخل النار مع الداخلين».

وروى الطبراني، عن أبي قتادة، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله، ﷺ: «من قعد على فرش مُغِيْبَةٍ قيّض اللهُ له ثعباناً يوم القيامة». والمُغيبة: هي التي غاب عنها زوجها بسفر وغيره.

وروى الحاكم، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله، ﷺ: «يا شباب قريش احفظوا فروجكم لا تزنوا، ألا من حفظ فرجه فله الجنة». وفي رواية: «يا فتيان قريش لا تزنوا، فإنه من سلم له شبابه دخل الجنة».

وروى البخاري والترمذي، عن سهل بن سعد، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله، ﷺ: من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه تضمنت له بالجنَّة». المراد بما بين لحييه: اللسان، وبما بين رجليه: الفرج.

بعد ذكر جملة من كلام الرسول محمد ﷺ نجمل أضرار الزنا منها على سبيل الاختصار الشديد:

الزنا يذهب نور الإيمان من قلب الزاني والزانية.

وفاحشة الزنا تبيح قتل مرتكبها بسيف الحاكم حداً.

والزنا نذير الرعب والفزع والهلاك.

ولا يستجيب الله دعاء الزاني والزانية.

وتتقد النار في وجهيهما يوم القيامة.

وترمى الزناة في فرن يصهر أجسامهم ويحرقهم حرقاً شديداً.

ورائحة الزناة نتنة، وأشكالهم قذرة.

ومرتكب فاحشة الزنا يشطب اسمه من سجل الأبرار، ويطرد من حظيرتهم، وليس الزاني من عباد الرحمن.

ولا ينظر الله للزناة نظرة رحمة ورأفة.

ويحرم الله على الزاني الجنة ولا يشم ريحها.

وانتشار الزنا مؤذن بالافساد والتخريب والدمار.

وكل بلد يظهر فيه الزناة مُنْذَر بالخراب وغضب الجبار على سكانه.

والزنا يسبب العار والشنار والفضيحة في الدنيا والآخرة.

والممتنع عن الزنا وإن استجرته المغريات مُكرَّم عند الله، ويظله عرشُ الرحمن يوم القيامة ويسامحه الله عز وجل عن هفواته.

والإمتناع عن الزنا ينجي من الأهوال ويزيل الشدائد.

والبعد عن الزنا يزيد في الرزق ويجلب الخير ويجعل في الوجه بهاءً ونوراً.

وصدق الله ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون﴾. [النحل/ ٩٠].

* * *

اللواط جريمة واللوطيون مجرمون

قال تعالى: ﴿ولوطاً إذ قال لقومه إنكم لتأتون الفاحشة، ما سبقكم بها من أحد من العالمين، أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل، وتأتون في ناديكم[1] المنكر، فما كان جواب قومه إلا أن قالوا ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين﴾. [العنكبوت/ ٢٩].

وقال تعالى: ﴿ولوطاً آتيناه حكماً وعلماً ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث، إنهم كانوا قوم سوء[2] فاسقين، وأدخلناه في رحمتنا إنه من الصالحين﴾. [الأنبياء/ ٧٥].

وقال تعالى: ﴿أتأتون الذكران من العالمين، وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون[3]، قالوا: لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين. قال: إني لعملكم من القالين[4]، ربِّ نجني وأهلي مما يعملون. فنجيناه وأهله أجمعين، إلا عجوزاً في الغابرين[5]، ثم دمرنا الآخرين، وأمطرنا عليهم مطراً فساء مطر المنذرين. إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين، وإن ربك لهو العزيز الرحيم﴾. [الشعراء/ ١٧٥].

وأضرار اللواط فظيعة، وهي كثيرة منها:

اللواط ينذر بالرعب ويدعو بالخيبة، وهو دليل السقوط والدناءة وفقد

---

(١) ناديكم: مجلسكم الذي تجتمعون فيه.

(٢) قوم سوء: فسادٍ وفعل الرذائل.

(٣) عادون: متجاوزون الحد في المعاصي.

(٤) القالين: المبغضين أشد البغض.

(٥) الغابرين: الباقين في العذاب.

الشهامة والنجدة، وإبادة لأمم بكاملها كما حدث لقوم لوط.

قال رسول الله ﷺ: «إن أخوف ما أخاف على أمتي من عمل قوم لوط». [رواه الترمذي وابن ماجة].

واللواط داعية إلى انتشار الأوبئة والأمراض الخبيثة المميتة القاتلة الفاتكة بالناس. ويجلب سخط الناس على بعضهم، والعقد النفسية على اللائط والملوط به وإصابته بمرض السل والصفرة. قال رسول الله ﷺ: «لم تظهر الفاحشة في قوم قطّ حتى يعلنوا بها، إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا». [رواه ابن ماجة والبزار والبيهقي].

واللواط مدعاة لغضب الله تعالى فإذا فعله أناس نزع الله رحمته منهم فيحل بهم مقته ويبوءون بسخطه. قال رسول الله ﷺ: «إذا كثر الزنا كثر السِّباء، وإذا كثر اللوطيةُ رفع الله عز وجل يده عن الخلق، فلا يبالي في أيٍّ واد هلكوا». [رواه الطبراني].

السباء: الأسر وذل الأبناء، وكثرة العقوق وزيادة التشاحن. ويكفي الابن عاراً أن يؤسر بأنه ابن زنا، وينبذ من صفوف الناس، ويسخط هو على المجتمع المتفسخة أخلاقه. فلا يبالي بعدئذ أي سفالة فعلها: اللواطة وغيرها. فيستحق اللعن هو، والعقاب على الفاعلين والمفعولين.

قال رسول الله ﷺ: «ملعون من عَمِلَ عَمَلَ قوم لوط». قالها ثلاثاً. ثم قال: «ملعون من أتى شيئاً من البهائم.. ملعون من جمع بين إمرأة وابنتها». [رواه الحاكم والطبراني].

يلعن النبيُّ ﷺ اللوطيّ ثلاث مرات، ويلعن من يطأ الأم وابنتها، فهو زان من أقبح الزناة، ويلعن من فعل الفاحشة في البهيمة لأن حكم اللواط وإتيان البهائم كحكم الزنا.

واللواط يضع اللائط في مستنقع الرذائل، ويحقر نفسه بنفسه. والملوط به يتخنث ويفقد الرجولية، وهما وناكح البهيمة والمرأة المترجلة في الطرد من رحمة الله سواء.

روى الطبراني والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «أربعة يصبحون في غضب الله ويمسون في سخط الله». قلت: من هم يا رسول الله؟ قال: «المتشبهون من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال، والذي يأتي البهيمة، والذي يأتي الرجال».

واللوطيّ يرجم بالحجارة حتى الموت بأمر الحاكم، إن كان محصناً، أي متزوّجاً. ويجلد بسياط العدل إن كان غير محصن. روى الترمذي وأبو داود وغيرهما عن ابن عباس، رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به».

وروى أبو داود وغيره، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، عن النبيِّ، ﷺ، قال: «من أتى بهيمة فاقتلوه، واقتلوها معه».

وقد حَرَقَ اللوطيّةَ بالنارِ أربعةٌ من الخلفاء: أبو بكر الصديق، وعلي بن أبي طالب، وعبد الله بن الزبير، وهشام بن عبد الملك.

روى البيهقيّ وابن أبي الدنيا، عن محمد بن المنكدر، أن خالد بن الوليد، كتب إلى أبي بكر الصديق، رضي الله عنه، أنه وجد رجلاً في بعض نواحي العرب، يُنكح كما تنكح المرأة، فجمع لذلك أبو بكر أصحاب رسول الله، ﷺ، وفيهم عليّ بن أبي طالب، فقال عليٌّ: إن هذا ذنبٌ لم تعمل به أمّةٌ إلا أمّةٌ واحدة، ففعل الله بهم ما قد علمتم، أرى أن تحرقه بالنار، فاجتمع رأي أصحاب رسول الله، ﷺ، أن يُحرق بالنار، فأمر أن يحرق بالنار.

وإن الزاني والزانية، واللوطيّ واللوطية، والسحاقات مردود قولهم ومنبوذون، ولا تقبل شهادتهم، لأنهم أسفل خلق الله، إذ الإدلاء بالشهادة تكريم، فكيف يكرّم السافل؟

روى الطبراني، عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله، ﷺ: «ثلاثة لا تقبل لهم شهادة: الراكب والمركوب، والراكبة والمركوبة».

والراكبة والمركوبة: هي المرأة التي تفعل في المرأة، كما يفعل الرجل، والمفعولة فيها: هي التي تنام تحت الأنثى مثلها للسحاقة.

وهذه الفواحش والرذائل تدل على عدم الحياء، فارتكاب ما نهى الله عنه من أشدّ الخزي والعار، فالله سبحانه وتعالى لا ينظرَ إليه مطلقاً بعين الرحمة.

روى الترمذي والنسائي وابن حبان، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «لا ينظر الله عزّ وجلّ إلى رجل أتى رجلاً، أو إمرأة في دبرها». أي في محل الغائط فتحة القذر، ولو كانت زوجته، فإنه لا يباح له، وحُرِّم عليه. قال تعالى: ﴿نساؤكم حرثٌ لكم، فأتوا حرثكم أنى شئتم، وقدموا لأنفسكم، واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه وبشّر المؤمنين﴾. [البقرة/ ٢٢٢]. أي أرحامهن موضع الزراعة وحسب، فصبوا المنيَّ في الأرحام فقط، كيف شئتم قياماً وقعوداً واستلقاءً وعلى جنب أو قفا.

حتى أن طريق الرحم محرم على الواطىء في أوقات النفاس والحيض. قال تعالى: ﴿ويسألونك عن المحيض قل هو أذىً فاعتزلوا النساء في المحيض، ولا تقربوهن حتى يطهرن، فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله، إن الله يحب التوابين ويحبّ المتطهرين﴾. [البقرة/ ٢٢١]. أي وجود الدم في قبل المرأة بعد الولادة وأثناء دورتها الشهرية مؤذٍ من يقربه إيذاءً معنوياً كحدوث النفرة من مجامعة زوجته قبل الطهر، أو الإيذاء صحياً في الأعضاء التناسلية عندها وعند زوجها. لهذا فاجتنبوا مجامعتهن في تلك الظروف.

فما الحكمة من تحريم الجماع في هذا الظرف خاصة؟

الجواب الطبي لهذا السؤال هو ما يلي:

في الأحوال الطبيعية يفرز المهبل إفرازاً خاصاً لتليينه وحمايته، وهذا الإفراز حمضي في تفاعله، بسبب وجود حمض اللبن الذي تنتجه العصيات المهبلية، وهذا الوسط الحمضي يطهر المهبل من الجراثيم الممرضة. وإن تغير الوسط الحمضي إلى القلوي أو المتعادل أحدث أهم الأسباب في التهابات المهبل، فيصبح الوسط ملائماً لهجوم الجراثيم الممرضة. ومن أهم الظروف التي تجعل الوسط قلوياً أو متعادلاً هو وجود الدم في المهبل، كما يحدث أثناء الحيض. كما أن الجماع بوقت الحيض يزيد التلوث الجرثومي والتخريش في المهبل المستعد للالتهاب في

هذا الوقت، فيحدث الالتهاب بالإضافة إلى أن الرض والتسحج الذي يحصل بالجماع، يزيد من إمكانية حدوث الالتهاب.

أما غشاء الرحم المخاطي فيكون في هذه المرحلة في حالة توسف وانسلاخ وكأنه جرح مفتوح مما يساعد على حدوث التهاب باطن الرحم بصعود الجراثيم من المهبل إلى باطن الرحم عبر عنقه. والجماع أيضاً يحدث احتقاناً دموياً فيؤدي لزيادة كمية النزف الحاصل ويزيد الأمر سوءاً.

والالتهاب الحاصل يسبب آلاماً شديدة في الحوض، مع الشعور بثقل فيه، وترتفع الحرارة ويحتقن الغشاء المخاطي، ويظهر الرشح المدمن.

وفي الأحوال الشديدة قد يمتد الالتهاب إلى ملحقات الرحم، وقد يسبب العقم كما قد يمتد للمثانة ويؤدي لإلتهابها.

أما بالنسبة للرجل فيمكن أن يتعرض للمرض أيضاً نتيجة الالتهاب بالتماس، فقد يصاب بالتهاب المجرى البولي. ومنه تمتد الإصابة إلى سائر الجهاز البولي والتناسلي، وعند إصابة الحويصلتين المنويتين يشتد الألم في العجان. ويتضاعف الألم عند التبول والتغوط، وأثناء المشي، أو عند الجلوس، كما يمكن أن يصاب البربخ والخصيتان.

ويجب أن ننبه ونشير إلى أن عدم إصابة الرجل بالأذى إذا وطيء إمرأته مرةً في حيضتها، لا يعني انعدام وجود عوامل الأذى. ولا يخفى أن من حكمة التحريم أثناء الحيض بالإضافة للأضرار الجسمية هي تعويد الرجل على الصبر، وعدم الإسراف في الشهوة الجنسية.

أما بالنسبة للحالة النفسية للمرأة أثناء الحيض فتكون أبعد ما يمكن عن الجماع والاستثارة الجنسية، فهي في حالة كره للجماع، ونفور منه.

فهذا جزء من الحكمة من توجيه النداء للرجال أن يعتزلوا النساء في أوقات ومواضع الأذى. وما خفي من الحكمة على البشر أعظم مما تكشف لهم.

فالجماع في فرج حائض حرام بالكتاب والسنَّة. ومن وطيء الحائض وهو عالم بالتحريم غير جاهل له فقد أتى كبيرة. وقال العلماء: من استحل وطء

الحائض حكم بكفره لأنه أنكر معلوماً من الدين بالضرورة[1].

هذا حكم الإسلام الذي لا يلغي الفطرة ولا الغرائز، ولكنه يهذبها ويرتفع بها ويوجهها وجهتها السليمة.. وهكذا الإسلام دوماً دين الفطرة يوجه إلى الغايات النبيلة ويرقى بمتبعيه قمم الأخلاق السامقة.

وإن تعذيب اللائط وكل مقترف للفاحشة بعذاب يستفظعه من يسمع به أو يراه، فإنه قليل وقليل جداً، لأنه لايوجد أوخم فعلة وأحقر عاقبة من مرتكبها، إنها معصية تحدث الشقاق، وتفصم عرى المودة وتسبب الخلاف وتقطع الصحبة وتنفر النفوس.

والنتائج البدائية التي تلحق أصحابها: القتل والجرائم الشنيعة، وكثيراً ما سمعنا ورأينا في الصحف حوادث من هذا النوع يندى لها الجبين، من جراء هتك عرض أو ميل إلى طفل أو غير ذلك من الفواحش نعوذ بالله من كل سوء ونقيصة.

فالإسلام شرع الله، يقرر بكل صراحة، على لسان نبيه محمد ﷺ أنه قال: «من أتى النساء في أعجازهن فقد كفر». [رواه الطبراني]. وقال: «من أتى حائضاً، أو امرأة في دبرها، أو كاهناً فصدقه، كفر بما أنزل على محمد ﷺ». [رواه أحمد والترمذي والنسائي وأبو داود وابن ماجة].

وقال تعالى: ﴿أتأتون الذكران من العالمين، وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم، بل أنتم قوم عادون﴾. [الشعراء/ ١٦٧].

الذكران: الذكور الذين يلاط بهم. وتذرون ما خلق لكم: فروج حلائلكم، أي قُبُلهن المباح لكم وطؤه. عادون: متجاوزون حد الشهوة، حيث زادوا على سائر الحيوانات. فأنتم مفرطون في المعاصي. فحقيق بكم أن توصفوا بالعدوان لارتكابكم هذه الجريمة. فما جزاء المجرمين؟

---

(١) انظر كتاب خلق الإنسان للدكتور محمد علي البار / بحث أذى المحيض/ ص١٠١ ـ ١٠٧ فقد كتب علوماً قيمة جداً. وانظر كتاب مع الطب للدكتور عبد الحميد دياب والدكتور أحمد قرقوز ص٤٧ ـ ٤٨. وكتاب تطور الجنين للدكتور محي الدين طالو العلبي ص ٨٤.

جزاء المجرمين

المجرمون بفاحشة الزنا واللواط وغيرها، معاقبون عقاباً شديداً، وهذه العقوبات تدرس في كتب الفقه الإسلامي تحت عنوان الحدود والتعزيرات.

سميت حدوداً، من قوله سبحانه وتعالى: ﴿تلك حدود الله فلا تقربوها﴾. وقوله تعالى: ﴿تلك حدود الله فلا تعتدوها﴾.

والحد في اللغة: المنع، والعقوبات حدود لأنها مانعة من ارتكاب أسبابها. وحدود الله محارمه لأنها ممنوعة. أو أحكامه أي ما حدّه وقدّره فلا يجوز أن يتعداه الإنسان، وسميت بذلك لأنها تمنع عن التخطي إلى ما ورائها.

أما الحد في شرع الله: فهو عقوبة مقدرة واجبة حقّاً لله تعالى. وسميت هذه العقوبة حداً لأنها تمنع من الوقوع في مثل ذلك الذنب.

والمراد من كونها حقّاً لله تعالى: أنها شرعت لصيانة الأعراض والأنساب.

وحد الزنا حق خالص لله تعالى، لأنه حق للمجتمع.

وهو حرام وفاحشة عظيمة وهو من الكبائر العظام. واتفق أهل الملل على تحريمه، ولم يحلل في ملة قط. ولهذا كان حده أشد الحدود، لأنه جناية كبيرة على الأعراض والأنساب.

قال تعالى: ﴿ولا تقربوا الزنا، إنه كان فاحشة وساء سبيلاً﴾. وقال سبحانه (في وصف عباد الرحمن المؤمنين): ﴿والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرّم الله إلا بالحق، ولا يزنون، ومن يفعل ذلك يلق أثاماً، يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً﴾.

والأصل في مشروعية حد الزنا قوله عز وجل: ﴿الزانية والزاني فاجلدوا كل

واحد منهما مائة جلدة﴾. وأما الرجم فقد ثبت في السنّة، فإن الرسول ﷺ رَجَمَ ماعزاً وامرأةً من بني غامد بأخبار بعضها متواتر، وأجمع الصحابة على مشروعية الرجم. لأن الزاني والزانية يعتديان على حقوق المجتمع ويدمرون الأسر والنسل ونظام المجتمع.

فسبب حدِّ الزنا ـ الرجم أو الجلد ـ هو ارتكاب جريمة الزنا.

ووضع الفقهاء المسلمون ضوابط دقيقة للتحقيق في هذه الجريمة. لأن الحدود عموماً مبنية على الدرء والاسقاط صيانة للمجتمع من سماع وقوع هذه الفاحشة فضلاً عن انتشارها والخوض في مساوئها. فإذا لم تتوافر هذه الضوابط سقط الحد ووجب التعزير لأن كل وطءٍ في دار الإسلام لم يكن مباحاً، لا يخلو عن حد زاجر أو عقوبة.

والزنا هو وطء الرجل المرأة في القبل من غير ملك وشبهة ملك؛ أي الوطء الحرام في قبل المرأة الحية المشتهاة في حالة الاختيار في دار العدل ممن التزم أحكام الإسلام الخالي عن حقيقة الملك وحقيقة النكاح وعن شبهة الملك وعن شبهة النكاح وعن شبهة الاشتباه في موضع الاشتباه في الملك والنكاح جميعاً.

ومعنى الوطء: هو إيلاج فرج في فرجٍ بقدر حشفة الذكر. ومعنى حالة الاختيار: أي يجب أن يكون الواطىء مختاراً سواء كان رجلاً أو امرأة، فلا يُحَدّ المكره على الزنا، ولا حد على المرأة المكرهة على التمكين من الزنا. ولا حد ولا تعزير على الرجل المكره على الزنا. وعقوبة الزنا تتنوع حسب وضع الزاني والزانية. فإما أن يكونا محصنين فيجب عليهما حد الرجم، أو غير محصنين فيجب عليهما حد الجلد.

أما حد المحصن: فلقد اتفق العلماء على أن حد الزاني المحصن هو الرجم، بدليل ما ثبت في السنّة المتواترة وإجماع الأمة والمعقول.

أما السنّة فكثير من الأحاديث، منها قوله ﷺ: «لا يحل دم امريء مسلم إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني. والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة». ومنها قصة الأجير الذي زنى بامرأة فقال ﷺ: «واغدُ يا أنيس إلى امرأة هذا فإن

اعترفت فارجمها». وقصة زنا ماعز مع الغامدية، فقد اعترف بالزنا فأمر الرسول ﷺ برجمه، ولما اعترفت الغامدية رجمها ﷺ بعد أن وضعت.

وجاء إجماع الأمة على مشروعية الرجم لأن المعقول يوجب مثل هذا العقاب، حيث أن زنا المحصن غاية في القبح فيجازى بما هو غاية في العقوبات الدنيوية.

وشرط الرجم: الإحصان، وهو الإسلام والبلوغ والعقل والحرية والعفة والتزويج والوطء الصحيح.

وأما حد الزاني غير المحصن: وهو البكر، ذكراً كان أم أنثى، أن يجلد مائة جلدة ويُغَرَّب سَنَة. قال تعالى: ﴿الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة﴾. وقال ﷺ: «خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلاً: البكر بالبكر جلد مائة ونفي عام، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم».

ويوصف حد الزنا بأنه حق خالص لله تعالى - أي حق للمجتمع - لأنه وجب صيانة للأعراض عن التعرض لها، ومحافظة على المصالح العامة، وهي دفع الفساد الراجع إليهم فيترتب على ذلك: أنه حد لا يحتمل العفو والصلح والإبراء عنه، بعد ما ثبت بالحجة، لأنه حق لله لا للعبد فلا يملك أحد إسقاطه.

وأنه حد يجري فيه الزجر فكلما زنى يحد. على أن يقر البالغ العاقل أربع مرات بالزنا عند القاضي. وينفذ بحضور الإمام أو من ينيبه عنه وهو المقيم له.

وإذا كان المحدود رجلاً، وحكم عليه بالرجم، يقام عليه قائماً، بالضرب بالحجارة المعتدلة حتى الموت. وإذا حكم عليه بالجلد فيقام عليه قائماً، ويجلد بسوط لا عقدة له بضربات متوسطة ويتحاشى المقاتل والتبريح وذلك مائة جلدة.

وإذا كان المحدود امرأة وحكم عليها بالرجم يحفر لها حفرة لئلا تنكشف وترمى بالحجارة حتى الموت، وإذا حكم عليها بالجلد فلا ينزع عنها ثيابها - كالرجل - إلا الفرو والحشو والسميك من الثياب، وتضرب مائة جلدة.

وأما حد اللواط: فالحكم كالزنا، لأن الله سبحانه وتعالى غلظ عقوبة فاعله في الكتاب المجيد. ولكن المالكية والحنابلة قالوا: برجمه سواء أكان ثيباً أم

بكراً، لقوله ﷺ: «من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط، فاقتلوا الفاعل والمفعول به». وفي رواية: «فارجموا الأعلى والأسفل». لأنه إيلاج محرم في فرج محرم.

وقال رسول الله ﷺ: «إذا جاء الرجل الرجل فهما زانيان، وإذا أتت المرأة المرأة فهما زانيتان».

وأما حكم إتيان البهيمة:

اتفق الأئمة على أن واطىء البهيمة يعزره الحاكم بما يردعه، لأن الطبع السليم يأبى هذا الوطء، فلم يحتج إلى زاجر بحد، بل يعزر. والبهيمة المفعول بها ـ كما قال الحنابلة ـ يجب قتلها، سواء كانت مأكولة أو غير مأكولة، لقوله ﷺ: «من أتى بهيمة فاقتلوه واقتلوا البهيمة». ولأن في بقائها تذكيراً بالفاحشة فيعير بها صاحبها.

وأما إتيان الميتة:

قال السادة المالكية: يحد من أتى ميتة في قبلها أو دبرها لأنه وطء في فرج آدمية. ولأنه أعظم ذنباً وأكثر إثماً، ولأنه انضم إلى الفاحشة هتك حرم الميتة.

وأما أشدّ المجرمين إجراماً فهو:

الذي يزني بأخته أو بنته أو أمه أو جدته أو خالته أو عمته أو كنّتِهِ أو ما يدخل تحت اسم المحارم نسباً أو رضاعة.. ومن اقترف هذه الكبيرة فهو المجرم الذي انتهى إلى أقصى غايات القبح والرذيلة، وخصه الشرع بمزيد الذم وتوعّده بالويلات الدنيوية والأخروية. قال تعالى ﴿إنه كان فاحشة ومقتاً وساء سبيلاً﴾. [النساء/ ٢٢].

والمقت: البغض الشديد لمن تعاطى القبيح. وروى الحاكم في المستدرك (٤/ ٣٥٦ ـ ٣٥٧)، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال، قال رسول الله ﷺ: «من وقع على ذات محرم فاقتلوه» هذا حديث صحيح الاسناد. وأخرج أيضاً عن البراء بن عازب، رضي الله عنهما قال: (إني لأطوف على إبل لي ضلّت[1]، فأنا

---

(١) ضلت: ضاعت.

أجول في أبيات، فإذا أنا براكب وفوارس، فجعل أهل الماء يلوذون بمنزلي، وأطافوا بفنائي، واستخرجوا منه رجلاً فما كلموه حتى ضربوا عنقه، فلما ذهبوا سألت عنه فقالوا: عرّس بامرأة أبيه). وأخرج أيضاً عن البراء عن أبيه قال: لقيت عمي ومعه الراية فقلت له: أين تريد، قال: بعثني النبي ﷺ إلى رجل نكح امرأة أبيه فأمرني أن أضرب عنقه وآخذ ماله).

وقال الحافظ الذهبي في الكبائر (ص٥٤): وأعظم الزنا الزنا بالأم والأخت وامرأة الأب وبالمحارم. ومن فعله يقتل ويخمس ماله.

فيجب على الأسر المسلمة أن تحافظ عل حشمتها وعفتها فلا تفتح ذرائع الميوعة والاندلاع فيما بينهم. لأن النفس كالحية الرقطاء ناعمة في ملمسها قاتلة في سمها فقد تسوّل للجنسين أن يستمتعا ببعضهما ولو كانا أخاً وأختاً وما أكثر فاعليها، فكانت العاقبة الوبال والنكال والخراب الذي لم يتبعه بناء مطلقاً. وكم علقت بالمشانق زناة بأخواتهم ومحارمهم فكانوا عبرة لمن اعتبر.

* * *

الدواء الشافي

إذا ابتلي المرء ببلية الزنا أو اللواط أو غيرهما من المذكورات، وأراد الإقلاع عنها خشية الاستمرار بها، وأن تفسد عليه حياته وآخرته، وقد اجتهد في دفعها عن نفسه بكل طريقة ممكنة، فما يرى نفسه إلا مشغوفاً بها ويقارفها، فما الحيلة في دفعها، وما الدواء الشافي للتخلص منها، والعيش باستواء على الفضائل، والحصول على عفو الله تعالى؟.

فأقول له، قال تعالى: ﴿قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور﴾ ولكل داء دواء. فقد روى البخاري / ٥٣٥٤/ عن أبي هريرة، رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، أنه قال: «ما أنزل الله داءً إلا أنزل له شفاءً».

وقال رسول الله ﷺ: «لكل داءٍ دواء، فإذا أصيب دواءُ الداءِ، برأ بإذن الله». [رواه مسلم ٢٢٠٤].

وقال رسول الله ﷺ: «إن الله لم ينزل داءً إلا أنزل له شفاءً، علمه من علمه، وجهله من جهله». [رواه أحمد ١/ ٣٧٧].

ودواء العيّ السؤال، في كل شيء، في أدواء القلب والبدن، ويتم شفاؤها على وصف الخبير.

والأدوية الناجعة، والعقاقير الشافية، تجدها في الإسلام، قال تعالى: ﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للعالمين﴾. [الإسراء/ ٨٢]. أي إبراء من السقام وتفريج للكروب وتطهير للعيوب وتكفير للذنوب.

وفي القرآن الدواء الواقي من الوقوع بالجرائم الفاحشة، والدواء العلاجي لمن وقع. فما أدوية الإسلام لهؤلاء..؟

أما دواء الفواحش وقاية وعلاجاً:

مفسدة الزنا من أعظم المفاسد لأنها منافية لمصلحة نظام العالم في حفظ الأنساب وحماية الفروج وصيانة الحرمات، وتوقع أعظم العداوات والبغضاء بين الناس، وإفساد العالم وخرابه. قال تعالى: ﴿ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلاً﴾. أخبر ربنا عن فحش الزنا بذاته، والفحش هو القبح الذي تناهى قبحه حتى استقرّ فحشه في العقول، حتى عند كثير من الحيوان. ذكر البخاري في صحيحه، عن عمرو بن ميمون الأودي قال: رأيت في الجاهلية قِرْداً زنى بقردة، فاجتمع القرود عليهما فرجموهما حتى ماتا. اهـ. مع العلم أن لهذه الحيوانات تشكيلات أسرية مضبوطة بتقدير من الله الخلاق الحكيم.

وإن الجنايات من هذا النوع معاقب عليها في عالم الطيور أيضاً.

ضع ديكاً غريباً بين دجاجات لهم ديك ألفنه تجد ديكهن يستذبح في سبيل حمايتهن. حتى الحمام كل حمامة لها فحلها، فلو أراد فحلُ إحداهن وطئها على مرآهن تجد منهن من يفزع لنقره حمية على هذه الظاهرة الغريبة.

وهناك قصة طريفة مع زوجين من الغربان، خلاصتها: غراب وأنثاه بنيا عشاً على شجرة عالية، وباضت الأنثى، فصار الذكر والأنثى يتناوبان النوم فوق البيض. فجاء الفلاح الذي يراقب حياة هذين الغرابين منذ البناء حتى البيض، وصعد على الشجرة مقترباً من العش فنفرت الأنثى التي كانت نوبتها وقتذاك فأخذ من العش بيضتين ووضع بدلاً عنهما بيضتي دجاج، وتركهما يتناوبان احتضان البيض الغريب، إلى أن فرّخ البيض عن زغبين من الدجاج، فلما انقشع كلس البيض عما فيه من طير، فإذا بالذكر يفزع طائراً من العش حائماً حوله وكأنه يخشى ثعباناً، وكذلك الأنثى من الزوجين تفاجأت بالفراخ الغريبة التي لم تكن غرباناً، بل دجاجاً، وجلست ساكنة إلى جوار العش، كأنها مصبَّرة، تنظر بجمود نحو الفراخ وفحلها ينظر إليها وإلى العش المفاجِيء بفراخه. وكأنهما يتذاكران وقتاً ما قد ارتكب فيه أحدهما جريمة حتى أنتج فراخاً غريبة، لا تمت بصلة إلى جنس الغربان. ثم طار الغراب كالفزع غائباً مدة، وبعدها، فإذا بسرب

من الغربان يأتي نحو العش حائماً حول الأنثى المفجوعة بالتفريخ الغريب، يصدرون أصواتاً تشبه صوت المستغيث ـ والفلاح صانع التغيير يلاحظ صنيعهم ـ ثم ينقضُّ غرابٌ غرابٌ على التناوب ينقر في رأس الأنثى التي حاكمتها جماعة الغربان على هذه الفرية، فما لبثوا إلا أن حفروا بمناقيرهم دماغ المسكينة وهي جامدة تحت تنفيذ حُكم الإعدام، ثم هجر جميع الغربان المكان تاركين المعدومة وعشّها. فخطر في بال الفلاح شيءٌ ما، فصعد الشجرة، لكنه لم يستطع أن يطول بيده الجثة الميتة، فأخذ عوداً من الشجرة ووكزها فسقطت من فوق رأسه، فإذا بمنقارها يثقب عيناً له، فيصرخ صرخة عظيمة من شدة الألم جعلتهُ يسقط من بين أغصان الشجرة منكساً على جمجمة رأسه، فما هي إلا دقائق حتى صار هو أيضاً جثة هامدة، انظر إلى عدل الله تعالى ونظام الكون. هذا الذي أدخل في نسب الغير مما ليس منه كيف يحاسب بدائياً. إن الافتراء على عش الزوجين من الطيور، بإبدال البيض فقط، قضى على طائر بريء، وعلى فراخ أبرياء. والجاني مات بأجله، لكنها ميتة سوء.

فالزنا نهايته سيئة، إنه سبيل هلكة وبوار وافتقار في الدنيا وعذاب وخزي ونكال في الآخرة.

فإذا كان الزنا إلى هذا المصير، فإنا علينا أن ننظر بالتحصن منه، وذلك بهجر دركات السقوط فيه، ودركاته مدخل المعاصي، ومبدؤها من النظر، كما أن معظم النار من مستصغر الشرر، تبدأ المعصية بنظرة فخطرة ثم خطوة ثم خطيئة.

وقد قيل: من حفظ هذه الأربعة أحرز دينه: اللحظات والخطرات واللفظات والخطوات. فينبغي أن تجند نفسك لحراسة هذه الثغور الأربعة.

أما اللحظة أو النظرة: فهي بريد الشهوة والخطية وتنجيس الفرج، فمن أطلق نظره أورد نفسه المهالك. قال رسول الله ﷺ: «النظرة سهم مسموم من سهام إبليس، فمن غض بصره عن محاسن امرأة، أورث الله قلبه حلاوة إلى يوم يلقاه». [رواه الحاكم ٤/ ٣١٣ وأحمد ٥/ ٢٦٤].

وقال ﷺ: «غضوا أبصاركم واحفظوا فروجكم». [رواه أحمد ٥/ ٣٢٣].

وأما الخطرة: فأصعب، ومنها تتولد الهمم والعزائم، ومن استهان بالخطرات قادته قهراً إلى الهلكات، فلتكن عاقلاً وامنع استدعائه ومحادثته واقطعه بالأمر بالخير وقل للخواطر:أمرني ربي بالحفظ والعفاف، وذكِّر نفسك معنى قوله تعالى: ﴿يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور﴾. [غافر/ ١٩]. واقنعها بسراب ما يخطر لك.

وأما اللفظة: أن تحفظها، فلا تطلق لسانك بالكلام الشهواني ووصف النساء، ولا تقرأ شعر الغزل الوضيع ولا تنظر في مجلات العاريات، وألجمِ اللسان عن كل ذلك وإذا أراد أن يحدثك بإباحية ذلك فحدثه بكلام رسول الله، ﷺ: «لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه». [رواه أحمد ٣/ ١٩٨]. وازجره بحديث النبي ﷺ: «أكثر ما يدخل الناس النار: الفم والفرج». [رواه الترمذي ٢٠٠٤]. وقال رسول الله ﷺ: «إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين ما فيها يهوي بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب». [رواه مسلم ٢٩٨٨].

وأما الخطوة: فأخطر مما قبلها، فيجب حفظها بأن لا ينقل قدمه إلا فيما يرجو ثوابه، فإن لم تكن في الثواب، فالقعود عنها خير له. وقل: شأن عباد الله أن لا يمشوا إلى معصية، قال تعالى: ﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً﴾. [الفرقان/ ٦٣].

وأما الخطيئة: وفيها البلاء الأعظم، وما سبق من حديث فهو عنها، ليذكّر الخاطيء نفسه بهذا الكلام، ولئن رفضت الذكرى، فليقل لنفسه أترضين هذه الخطيئة بأختك أو بأمك أو ببنتك؟ فإذا رضي وفعل، لا عليه ما فعل، فإن الخنزير وهو أوسخ الدواب وأقذرها، يرى المنكر في أمه فلا يتحرك دمه، بل هو يركبها وكأن شيئاً لم يكن. ووجهاً لوجه نلتقي وبصراحة مع الساقطين إلى حضيض السفالة من زنا ولواط وشذوذ، لننقذهم من أوحال فواحشهم، ولنسعفهم إلى مستشفى الإيمان والنجاة، إذا عزموا على الطهارة أن نعيد لهم

الكرّة، ونصف لهم الدواء كلّ مرة، من مواده الأولى ومبادئه. ولا نقنِّطُ الزاني واللوطي من عطاء التوبة النصوح، بل نتلو عليهم قول الله تعالى: ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله، إن الله يغفر الذنوب جميعاً، إنه هو الغفور الرحيم﴾. [الزمر/٥٣]. فهيّا بعزيمة وهمة وإصرار إلى الترميم والتعويض: يامن استسلم سابقاً للذل والهوان، أن يرمم دماره، ويعيد بناء أنقاضه، الذي سبقت منه الدنيه، ويعوّض الثلمة من حياته، والشرور فيما أمضاه من أوقات بين الزانيات، بأن يبني جيلاً نظيفاً من نسله، وتأسيسه لأسرة مصونة، وناشئة على الدين والعفاف عاملاً بخطة الإسلام في التربية والتعليم، وذلك بأن يعلم ويعمل ببرنامج الترويح والتوجيه. وذلك: أن الإسلام قد رسم للآباء والمربين منهج التربية الذي يكفل استقامة النشء على طريق الإيمان، ودلّهم على ما يجب عليهم في هذا السبيل، «مروا أولادكم بالصلاة لسبع واضربوْهم عليها لعشر وفرقوا بينهم في المضاجع» فأول ما يجب على الآباء والمربين في الأسرة أن يثبتوا أقدام الناشئة على الصراط، وأن يعمقوا فيهم حقائق الإيمان الغيبية والكونية فالعقيدة السليمة هي الجوهر الذي يقوم عليه بناء التربية الإسلامية في الأسرة والمجتمع.

وهذا الغرس ينبغي أن يكون من القوة بحيث تمتد جذوره في النفس وتتأصل في حقيقة التكوين، فيؤتي ثماره وتتفتح أزهاره بما يكفل استمرار الإيمان في المجتمع ودوام صلاحه.

وبهذا المعنى توحي الآية الكريمة ﴿والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم﴾. [الطور/ ٢١].

وهنا يبدو جهد الآباء والموجهين في الأسرة في تبصير ذرياتهم بطريق الإيمان وتزيينه أمامهم، ثم يأتي دور الأبناء في الاتباع عن يقين، والاستقامة عن بينة، لاتقليداً ومحاكاة بل اقتناعاً واعتقاداً.

وليس على الآباء والموجهين إلا أن يحفظوا نور الفطرة في أبنائهم وبناتهم، فلا يعرضونهم للبلاء، ولا يتركونهم في مهبّ الفتن، ولا يسلمونهم في التربية

والتنشئة إلى من لا إيمان في قلوبهم ولا يقين.

ومن العقيدة الصالحة تأتي الآداب والأخلاق الفردية والاجتماعية، وتلك الآداب محدودة بحدودها مستمدة من مصادرها، من مبادىء الإسلام وقيمه، لا تتأثر بعرف ولا تتغير بتقليد، ولا تستقى من مصادر تخرج عن أهداف الإسلام وتناقض غايته وتخالف نظرته للكون والحياة. وذلك هو الأدب الذي أشار إليه القرآن ووجهت إليه السُّنَّة: ﴿وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم﴾. [النور/ ٥٩]. وذلك الاستئذان الذي يتعلمه الأطفال حين يبلغون سن التمييز أدب يتلقاه الأخلاف عن الإسلام وتقاليد يضعها المجتمع لكل أجياله، وهو رمز لكل الآداب الأخرى، صغيرة كانت أم كبيرة، مما يحرص المجتمع الإسلامي أن يوجه إليه ناشئته.

وذلكِ هو الأدب الحسن الذي يسيطر على الرغبات والنوازع، والذي يوجه السلوك والانفعال، وهو أعظم هبة يهبها الموجهون والمربون لتلك البراعم الصغيرة، كما يقول الرسول ﷺ: «ما نحل والدٌ ولداً أفضل من أدبٍ حسن». [رواه الترمذي]. وهو أعظم من الصدقة أجراً وأنفع منها للناس، فهو إسهام في تأسيس صرح المجتمع الفاضل وغرس يجني المجتمع كله ثماره، قال ﷺ: «لأن يؤدب الرجل ولده خير من أن يتصدق بصاع».

والحق أن الآباء حين يحسنون تربية أبنائهم ويتقنون تأديبهم، وفق مناهج الدين وخصائص الفطرة، يجنون قبل غيرهم ثمار ذلك الأدب، طاعة وإخلاصاً وبراً، مما يقر أعينهم ويملأ قلوبهم بالرضى والاطمئنان. قال تعالى يعلمنا الابتهال العمليّ، أن قولوا: ﴿ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرّة أعين واجعلنا للمتقين إماماً﴾. [الفرقان/ ٧٤].

وهي الأمنية التي يوجه القرآن الكريم الآباء إلى ابتغائها والسعي إليها، سواء في ذلك النبيون والمؤمنون. قال تعالى يخبرنا كيف يضرع نبيٌّ إليه تبارك وتعالى داعياً: ﴿فهب لي من لدنك وليّاً يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله ربِّ رضيّاً﴾. [مريم/ ٥ـ٦].

وهذا ما يتجلى في قصة إبراهيم واسماعيل عليهما السلام حين وجد إبراهيم في ولده اسماعيل رمزاً للطاعة والفداء، واليقين بالحق والاستعداد لأعبائه وإن بلغت حد التضحية بالروح، قال تعالى: ﴿ربِّ هب لي من الصالحين، فبشرناه بغلام حليم، فلما بلغ معه السعي قال: يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى، قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين﴾. [الصافات/ ١٠٢]. وذلك يقتضي من الآباء أن يصبحوا قدوة صالحة للأبناء، يعلمونهم بالسلوك والخلق أبلغ مما يلقنونهم بالموعظة والنصح، وإن كان للإقناع والإرشاد بالكلمة مكانة جليلة لم يهملها القرآن. حين أشار إلى موعظة لقمان لابنه فلم يفرق فيها بين جانب الإيمان والتوحيد، وجانب الخلق والسلوك والأدب الذي يميز أهل الإيمان، قال تعالى: ﴿وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه: يا بني لا تشرك بالله، إن الشرك لظلم عظيم﴾. وقال تعالى: ﴿يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر، واصبر على ما أصابك، إن ذلك من عزم الأمور، ولا تصعّر خدّك للناس ولا تمشِ في الأرض مرحاً إن الله لا يحب كل مختال فخور﴾. [لقمان/ ١٣ـ١٨].

وهي كما نرى آدابٌ ترتبط بالعقيدة وتصدر عن توجيه الإيمان وتدل على ما يملأ القلب من تصور للحياة وتوجيه لطاقاتها.

ولا يطلب منك أيها الأب أن تكون فيلسوفَ تربية أو عالمَ نفس، أو موجهاً تربوياً. فإن تعاليم الإسلام البسيطة في تعلمها، والسهلة في تنفيذها، والمربحة في ثمارها وخواتيمها، بمقدور العالم والمتعلم ومن لا علم عنده تطبيقها.

ألا يقدر الأب على أن يقوم على سبيل المثال بمايلي:

إفصل غرفة نومك وزوجك عن غرفة نوم الأطفال، واجعل في غرفة نومهم فاصلة بين الذكور والإناث. نم وزوجك دون أن يراك أطفالك نائماً إلى جنبها، ولا تري الأم بناتها كيف تنام إلى زوجها تخلع ثياب البيت وتلبس ثياب النوم، ولا تجعل أطفالك يدخلون عليك وأنت ما زلت في فراش الزوجية. ولتحفظ لسانك من التغزل مع زوجك على مسمع منهم، كما لا تريهم التقبيل والضم

والالتصاق بها أمامهم. واحفظ أيضاً أن يدور حديث الليل في النهار على مسمع منهم. وإذا سهرت في حضرتهم ومشاهداً الرآئي فلا تتحدث فتقول عما تراه: هذه جميلة، وهذه فاتنة، وهذه ممشوقة القد، وغير ذلك. والأفضل إيقاف المتابعة عن الرؤية.

وإذا أردت أن تخرج من البيت، لتكن الأم ناظرة في غيابك حركات الأولاد، وإذا خرجت هي لتكن أنت الرقيب عليهم. ولا تزجر بعنف ولا تضرب ولا تصرخ ولا تدعو ولا تقطب وجهك بل استعمل التفهيم بالكلام فقط. وإذا كثرت أسئلتهم لا تتضجر بل أجب بما يفهمون دون كذب.

وحذار من خروجكما معاً وتترکانهم وحدهم يعبثون بمتاع البيت، أو يمثلون ما يرون من تمثيليات زوجية قد تكون فاشلة فتسجلها حياتهم الطفولية من حيث لا يشعرون، وقد تنعكس عليهم عندما يكبروا.

وإياك ثم إياك أن تحدثهم بتاريخ حياتك الأسود إن كان لك هذا التاريخ، ولا تقل: إني أحذرهم حتى لا يقعوا بمثل ما وقعت، بل كلمهم بصيغة الغائب إن شئت (رجل من الناس صنع كيت وكيت وكانت النتيجة وخيمة.. إلخ).

وإذا كانت الأم خاطئة يوماً ما، وقد تابت وصارت ربة أسرة، فعليها أن لا تروي شريط أخطائها على بناتها وذلك بالكف كلياً عن ذكر ما مضى من تصرفاتها المرذولة، وأن تقطع كل صلة بالماضي من صور وأشرطة ومذكرات وورقات وصداقات وغير ذلك، وإلا عاد الماضي بأسوء مما كان في كلٍّ بناتها. وهنا يحصل الدمار في عدة أسر.

وعلى الزوجين أن يتخلقا بالإسلام ويأمرا أولادهما بأعمالهما من صلوات وصيام وصدقات وفعل الخير والتعاون.. ولا يلجآن إلى استعمال العصا، بل الترغيب باللسان ودفع الأجرة مبدئياً على كل صلاة يصلونها.

وشجعوا الأولاد على الصدق بأن تثيبوا وتكافئوا على كل حادثة صدق فعلوها ولو كانت صغيرة. وأن تجازوا وتعاقبوا ولا تتهاونوا على الكذبة تصدر من أحدهم ولو كانت بنظرك تافهة ولكن بقدرها، فلا تكن العقوبة أقسى مايمكن، لأنه إن كانت

قاسية جداً على ذنب صغير، فإن فعل ذنباً أكبر ماذا تستعمل معه بعدئذ، لهذا معيار التأديب على قدر الذنب.

وحذار من التعاتب والتناوش بين الزوجين على مرأى ومسمع الأولاد، فإن كان هناك داع لذلك فليكن بينهما سراً دون حضور الأولاد.

وإذا ضربت الأم ولدها، فلا يمنعها الأب بل ليمسك على الأقل من النظر إليها شذراً، وإذا فعل هو كذلك مع الولد فلا تتدخل الأم. وهكذا تتوحد كلمة الزوجين فيبقى الابن محترماً لهما. وإنها لخطيئة ممن يقول لابنه اشتم أمك، أو يشتمها هو حميةً للولد..

هذا غيض من فيض مما ينبغي على الآباء والأمهات تنفيذه.. وهي من آداب الأسرة وتوجيهاتها الخلقية. فإذا طبقناها، ونظرنا بعد ذلك إلى الشاب المتخرج من هذه الأسرة، نراه شاباً مسلماً يدرج في شعاب الحياة، ويسعى في مسالك المجتمع وهو يحمل أرباً آخر، غير أنه هنا ملتزم بأخذ نفسه بما يؤمن به ويضبط سلوكه وفق معايير الإيمان.

وذلك الالتزام يربط الخلق بالعقيدة كما يربط الآخرة بالأولى، ويجعل الباعث مزيجاً من ذلك كله، يتضح فيه الإيمان بالجزاء وإيثار ما عند الله تعالى.

يقول الرسول ﷺ: «اضمنوا لي ستاً أضمن لكم الجنة: اصدقوا إذا حدثتم، وأدوا إذا ائتمنتم، وأوفوا إذا وعدتم، وغضوا أبصاركم، واحفظوا فروجكم، وكفوا أيديكم». [رواه أحمد وابن حبان]. فهل غادرت منافعُ هذا الكلام القومَ الأول الذين سمعوه فطبقوه؟ بالطبع لا، إنها آداب السلوك التي يطمح إليها مجتمع فاضل.

إنها الوصية العظيمة من الرسول العظيم سيدنا محمد ﷺ. أحاطت بالغرائز والنوازع والقوى والرغبات والطاقات، وجعلتها جميعاً في طاعة العقيدة السليمة وتحت لوائها، دون ترقب جزاء ماديّ أو نفع قريب.

إن وصيته ﷺ تصور نموذجاً من الشباب المثالي لم يستطع مجتمع غير المجتمع الإسلامي في عصوره الزاهرة أن ينشئه ويجعل منه واقعاً حيّاً يسعى بين الناس.

شباب يملك القوة دون طغيان، ويحس بوطأة الغريزة دون انحلال، ويتحمل مسؤوليته أوفى ما يكون صادراً عن رقابة لربه واستجابة لأمره، وذلك الصنف النبيل من الشباب، هو الذي يحقق الأمجاد ويؤسس النهضات، ويكسب مجتمعه طابع القوة والحياة.

وكم من نماذج عليا للشباب المسلم عرفها المجتمع الإسلامي في عصوره الواعية البريئة من الانحراف والانحلال.

وكم من أمجاد حققها ذلك الشباب في شتى المجالات، لا نزال نعيش في ذكراها ونتغنى بأعاجيبها.

قبل أن يصبح الشباب في بعض بيئاتنا صورة شائهة لانحراف الغرب وانحلاله واستخفافه بالقيم والأخلاق. ويبدو في توجيه الإسلام للشباب عنايته بمسألة الغريزة، وتأكيد لما يجب على الشباب من جهاد لأهوائهم واستمساك بعرى الفضيلة واعتصام بجانب الخير في نفس الإنسان.

والإسلام، هو دين الفطرة، خبير بأن هذه الغريزة من القوة والأصالة بحيث لا يخفت نداؤها ولا يهدأ إلحاحها، ولذلك وجه الإنسان فيها إلى الاستجابة الطبيعية عن طريق الزواج الذي يراه الإسلام الحلّ الحقيقي لهذه المشكلة، في الحالات السوية التي لا عدوان فيها ولا طغيان. قال تعالى: ﴿وأنكحوا الأيامى[1] منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله﴾. [النور/ ٣٢].

والمجتمع كله مسؤول عن تيسير الزواج لمن يطلبون به إعفاف أنفسهم والنجاة من مسالك الفساد التي تدمر الجسم وتشقي النفس وتورد الإنسان موارد البوار.

فإن لم يتيسر الزواج وكان لا بد من الانتظار، فإن على الشباب واجب الإعلاء والتسامي بالغريزة، واستغراق الجهد فيما ينفس الطاقة ويحولها إلى عمل

---

(١) الأيامى: من لا زوج لها.

نافع للفرد والمجتمع. يقول سبحانه وتعالى: ﴿وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً حتى يغنيهم الله من فضله﴾. [النور/ ٣٣].

ولهذا الاستعفاف طرقه وأساليبه التي يهدي الإسلام الشبابَ إليها، بالعبادة التي تملأ القلب بالطمأنينة، وتضيء آفاق النفس وتذهب وساوس الشيطان، كما يقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه: «يامعشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغضّ للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء». [صحيح البخاري ٥٠٦٦ وصحيح مسلم ١٤٠٠]. ومعنى الباءة: الجماع، ووجاء: كسر شهوته، وذلك بإشغال النفس بالعبادة والطاعة وإملاء فراغها ببذل الجهد فيما ينفع فلا يتفرغ الشباب لخيالات الغريزة وأمنياتها الطامعة. قال تعالى: ﴿فإذا فرغت فانصب وإلى ربك فارغب﴾. [الانشراح]. وقال أحدهم:

إن الشبـــاب والفـــراغ والجـــده مفســـدة للمـــرء أي مفســـدة

فالإسلام يعرض سبيلاً هو المثل الأعلى للشباب، يعلمهم كيف يستعلون عن نداء الفتنة وكيف يعتصمون من مكايد الشيطان، ولو سهلت السبل وألحّ النداء.

قال عليه الصلاة والسلام: «إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها، فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء». [رواه مسلم رقم٢٧٤٢]. وتلك قصة يوسف عليه الصلاة والسلام في القرآن لم تكن للتسلي أو للأخبار المجرد بل لتنهل منها الدروس والعبر والعظات.. فكيف كان بطلاً، وليس من يقطع طرقاً بطلاً إن من يتقي الله البطل، تجاه امرأة العزيز التي تقلبت حوله بجميع المغريات، وراودته عن نفسه فاستعصم، ورضي بالسجن ولم يرض لنفسه الفسوق والوقوع بالخنا، قال تعالى: ﴿ولقد راودته عن نفسه فاستعصم، ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونن من الصاغرين. قال: ربِّ السجن أحبّ إليّ مما يدعونني إليه، وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين، فاستجاب له ربّه، فصرف عنه كيدهن إنه هو السميع العليم﴾ [يوسف/ ٣٢ـ٣٣].

شاب وفي عنفوانه، والغلمة فيه في قمتها، يستعصم عن إفراغها. فعجيب أن يستعصم شاب على نداء الفتنة التي سهلت له كلّ سبيل، بل ألحت عليه كل إلحاح، وأن يستبدل بالسجن تلك المتعة التي يتطلبها غيره، ويسعى إليها، ولكن ذلك ليس عجيباً في منطق الإيمان، الذي يعني أن يصير الإنسان حاكماً للغرائز موجهاً لها إلى سبيل الرشاد.

ولذلك تشير الآيات إلى صبوة الجاهلين الذين لا يفقهون معنى الإنسانية، ولا يدركون حكمة تلك الغرائز وابتلاء الإنسان بجهادها ﴿وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهنّ وأكن من الجاهلين﴾ [يوسف/ ٣٤].

فإذا كان يوسف صادقاً في هذا اللجوء لمولاه مجاهداً حق الجهاد في استعفافه واستعصامه، فاستجاب له مولاه وصرف عنه كيد الشيطان ﴿فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن إنه هو السميع العليم﴾.

وهي بطولة نفسية يعرضها القرآن الكريم مثلاً لانتصار الإرادة على الهوى، والإنسانية على الحيوانية، يثبت بها أن بإمكان الشباب أن يستمد من معركته مع مطامع الغريزة ووساوس الشيطان قوة يستعلي بها على كل ما يتطلع إليه الجاهلون من المتعة المسمومة واللذة الوبيئة.

وإلى هذا اللون من التسامي بالغريزة والتحرر من إسارها، حين تدعو إلى محرم أو تهبط إلى درك الحيوانية التي لا تفرق بين جسد وجسد، والتي لا تربط بين الجسم والروح، يدعو الرسول صلوات الله عليه وسلامه حين يعرض تلك الصورة الزاهية لأحد السبعة الذين يظلهم الله بظلّه يوم لا ظلّ إلا ظله، فقال: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظلّ إلاّ ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله تعالى، ورجل قلبه معلّق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه، وتفرقا عليه، ورجل ذكر الله تعالى خالياً ففاضت عيناه، ورجل دعته امرأة ذات حسب وجمال، فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه». متفق عليه.

وهذا الأسلوب في تربية الشباب في المجتمع الإسلامي يثمر ثمرته ويبلغ

غايته، لأنه يرتبط بالعقيدة ويستمد منها البواعث والغايات، فلا الفلسفة ولا الفن ولا غير ذلك من الوسائل تصل إلى ذلك الهدف الذي يصل إليه المثل الأعلى، الذي يصوره الإسلام لشبابه، ويجعله بطولة يهدي إليها الإيمان ومعجزة يصنعها خوف الله تعالى واليقين بلقائه.

ويرتبط بموقف الإسلام من تربية الشباب موقفه من التوجيه والترويح في المجتمع كله.

إن المجتمع الإسلامي مجتمع مُثُل ومبادىء فاضلة لا يبيعها بثمن، ولا يتهاون فيها من أجل نفع مادي أو عرض قريب.

وهو لذلك يصوغ برامجه ويشكل حياته وفق ما يؤمن به من أهداف ومثل، وحين يعنى بالشباب ويدرك دورهم الخطير في حياة المجتمع ومستقبله فإنه لا يخالف تلك النظرة في أساليب التوجيه والترويح.

وهكذا يدلنا الإسلام على المجتمع الإسلامي الذي جوهره: اشتداد العناية بالجيل الجديد ومناهج تربيته، إيماناً بمسؤلية المربين والموجهين نحو استمرار المجتمع السليم في رسالته ومضيه قدماً في طريق الرشاد.

ومن هنا فإن الخطة التي يصنعها المجتمع الإسلامي لتنشئة أبنائه ورعاية أجياله تنبع أصلاً من المباديء التي يؤمن بها والقيم التي يسعى لتثبيتها، ولا تصدر عن الهوى ولا تتملق الغرائز ولا تساير النزوات وفي نفس الوقت لا تصادم الفطرة ولا تقف أمام دوافع الحياة.

* * *

الدين النصيحة إليكَ وإليها

ما به يحلو لي أن أختم، مودِّعاً من رافقني من أول كلمة في هذا الكتاب (احذروا الزنا والزناة) إلى الختام، وأرجو الله أن يجعله ختام مسك، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون، أيهم يكون أوعى، ولكرائم الأخلاق أحصى. ومحمِّلاً كلَّ فتى وفتاة حديثاً لأوّل الخلق خُلُقاً رسول الله محمد ﷺ، «ما من ذنب بعد الشرك أعظم عند الله من نطفة وضعها رجل في رحم لا يحل له».

ومن كتاب (على طريق العودة إلى الإسلام: رسم لمنهاج، وحل لمشكلات) أنقل إلى كل عاقل من الجنسين هذا النص: (تفاقم سلطان الإباحية والمتعة الجنسية، حتى لم يعد يصبر الرجل عن المرأة والعكس، في أي طور من أطوار العمل، أو شأن من شؤون الحياة.. فالرجل الغربي حريص على أن تكون المرأة إلى جانبه في الوظيفة التي يقوم بها والمعمل الذي يشتغل فيه، والمتجر الذي يتردد عليه، والمطعم الذي يغشاه، والشارع الذي يتردد فيه. وهو بطبيعته وضع شاذ يتسبب أخيراً في شقاء الجنسين أكثر مما يتسبب في إسعادهما.

لا ريب.. أن المسألة ليست رعاية من المجتمع الغربي لكرامة المرأة وحقوقها، وإنما هي تورط انزلق به كل من الرجل والمرأة في طريق السباق الأناني إلى اقتراف مزيد من المتعة السريعة بقطع النظر عن كل النتائج.

كما أن من الواضح الجلي أن أبطال هذا التورط لا يمدّون أعينهم إلى أي مسافة من ساحة المستقبل التي تتجه إليهم بفم فاغر لابتلاعهم.

وإنما لسان حالهم يقول كما قال الشاعر:

ما مضى فات والمؤمل غيب ... ولك الساعة التي أنت فيها

ذلك لأن أي نظرة سانحة إلى المستقبل وقانونه، تجعل الفكر يعود ليخضع

لقانون الله في إدارة أمور هذه الخليقة، وتحمله على الانصياع لسنّته التي تأبى إلا أن يكون كلّ غُنْمٍ بغرم، إن لم يقضه المرء أقساطاً خفيفة في حينها، قضاها ديوناً متراكمة من أصلِ سعادته فيما بعد.

وانظر كم تجد من التناقض الحاد بين أولئك الذين صعّدوا عقولهم من رجال الغرب إلى مستوى الفكر والتخطيط والتأمل في النتائج والآثار، وهؤلاء الذين ينطلقون من فلسفة تخيل لهم أن العمر الإنساني منقسم إلى وحدات زمنية متناثرة لا يتصل منها سابق بلاحق.

إن أحداً من الغربيين لا يشك أن جان جاك رسّو هو الأب الروحي للثورة الفرنسية، وذلك أكبر دليل على دقّة نظرِه وسلامة أفكاره وانطباقها على قانون المستقبل وسنّة الحياة الاجتماعية، أفليس الجميع يعلم أنه كان يصر إصراره الشديد المتكرر على أن ترعى المرأة الأمة والمجتمع من برج دارها وأن تهتم بشؤون زوجها وأولادها، وأن تنصرف إلى تعهد أنوثتها، ليمتد من ذلك ظل وارف يسعد الأسرة ومن ثم يسعد المجتمع كلّه، ثم كان يحذرها التحذير الشديد من أن تشرد عن البيت إلى ساحة الكسب والعمل، لتلبي رعونة الرجال ومن أن ينطلي عليها شيءٌ من خداعهم إذ يحدثونها عن حقوق المرأة ومساواتها للرجال؟.

وإن أحداً لا يشك في أن أوجست كونت يعد مؤسس علم الاجتماع في أوربّا، وقد كانت أفكاره ولا تزال تمثل الرصيد الأعظم للنهضة الأوربية الحديثة، وهو الذي يقول في كتابه النظام السياسي: «لو نال النساء يوماً ما هذه المساواة المادية التي يتطلبها لهن الذين يزعمون الدفاع عنهن بغير رضاهن فإن ضماناتهن الاجتماعية تفسد على قدر ما تفسد حالتهن الأدبية، كما أنه في الوقت نفسه تتكدر المنابع الأصلية للمحبّة المتبادلة بينهن وبين الرجال».

ولا يشك منا أحد أن برتراندرسل، وهو الفيلسوف الذي تعتز به بريطانية وسائر أوربة، يقول: «إن الأسرة انحلت باستخدام المرأة في الأعمال العامّة وأظهر الاختبار أن المرأة تتمرد على تقاليد الأخلاق المألوفة، وتأبى أن

تظلّ أمينة لرجل واحد إذا تحررت اقتصادياً». ويتابع المفكر الإسلامي الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي حديثه، في كتاب على طريق العودة فيقول : وهكذا يبدو جلياً أن المسألة ـ كما قلنا ـ ليست رعاية مدروسة من المجتمع الغربي لشيء من حقوق المرأة، بمقدار ما هي تورط عشوائي انجرف في تيّاره كل من الرجل والمرأة هناك، في طريق مفتوح للسباق الأناني إلى اقتطاف أشهى ثمار اللذة دون الاهتمام بشيءٍ آخر.

فإن طلبنا دليلاً على ذلك، فهو ما استتبعه ذلك التورط من مواجهة نتائج على درجة كبيرة من السوء والخطورة، دون أن يكون للرجال والنساء من اختيار في جلبها أو قدرة على دفعها.

فقد تمزقت الأسرة على أثر هذا التورط شر ممزق، وهي الآن ماضية في مزيد من التمزق والتناثر.

وإني لأذكر أن خبيرة سويدية لشؤون الأسرة والمجتمع طافت منذ بضعة أعوام في بعض البلاد العربية، وهي تندب أمام كل صحيفة مصير الأسرة الأوربية، وتعبر عن غبطتها ببقايا التماسك الذي ذهلت لمرآه في البلاد العربية، والذي لا تزال الأسرة الإسلامية تتصف به.

ولقد تنكست الفطرة التي ألمحنا إليها، عند المرأة الغربية، تنكساً مؤلماً. فاضطرت المرأة تحت ظروف ذلك التورط أن تبحث هي عن زوج، ثم أن تتقدم إليه ـ في كثير من الأحيان ـ على الرغم من أنفها، فتطلب هي يده. كما اضطرت إلى أن تخضع لدلال الرجل وخداعه، وأن تستسلم للكثير من وعوده الكاذبة. ثم اضطرت فوق ذلك إلى أن تقدم إليه من المال والأثاث ما كان حقيقاً به أن يقدمه إليها. ثم هي لا تعثر مع هذا كلِّه إلا بعد مغامرات وسقطات كثيرة على الزوج الذي هو حقيقة زوج.

وأريد هنا أن أنبّه إلى حقيقة هامة يغفل عنها كثير من الباحثين، هي: أن بين الرجل والمرأة فارقاً في طريق التسابق إلى حظوظ النفس تكون بمقتضاه هي الخاسرة فيه دائماً..

ذلك أن المرأة مهما تحللت عن قيود العفّة والدين، فإنها لا تصل إلى قمة سعادتها إلا في ظلال بيت هانيء تصبح أُمّاً سعيدة فيه. والرجل مهما كان شأنه إنما تهفو نفسه إلى نعيم تصفو لذته عن شوائب الغرامة أو المسؤولية أو الجهد، ولا يفطم نفسه عن التعلق بذلك إلا وازع ديني يتحكم بمجامع قلبه، فإذا فقد الدين، فإن الرجل والمرأة من حياة التحرر على مائدة تكون المرأة دائماً هي الطرف الخاسر فيها.

ولقد انتشر الطلاق في المجتمع الغربي من جراء ذلك التورط ونتائجه، فهي في أوربّة تتراوح ما بين ٣٠ و٤٠٪ وفي أمريكا تفوق ٥٠٪ أما في الاتحاد السوفياتي السابق فقد وصل عام ١٩٧٨ إلى ٣٥٪ وأنت تعلم أن هذه المجتمعات كانت تستنكر الطلاق وتجحده في نطاق الأحاديث النظرية التي لا رصيد لها، ومعلوم أن متوسط نسبة الطلاق في مجموع البلاد العربية بناء على الإرادة المنفردة من الزوج لا تزيد على ٥٪.

أفيستطيع أن يزعم زاعم أن هذه النتائج الخطيرة ـ وهي قليل من كثير ـ نتائج مقدرة ومقصودة وأنها كانت هدفاً من أهداف انسياح المرأة مع الرجل في شتى جوانب المجتمع؟.

أليس من الطريف المضحك أن يكابر إنسان فيقول: نعم، إن كل هذا الذي أصاب كيان الأسرة، ونكس صلة ما بين الرجل والمرأة، كان شيئاً مخططاً لهُ ومقصوداً، وأن المجتمع الأوربي سعى إليه طبق خطة مدروسة؟.

وهكذا فنحن أمام حقيقة ماثلة للعيان يدركها كل مفكر، وهي أن المجتمع الغربي لم يقدم في واقع الأمر منهجاً مدروساً لضمان شيء مما يسمى بحقوق المرأة. وإنما انجرف في هذه القضية وقضايا أخرى تشبهها، بدافع من تيار الرغبة العارمة في الوصول بأسرع وقت ممكن إلى لذة ممكنة، ولا شك أن كلاً من الرجل والمرأة قد اندفعا في هذا المضمار على السواء. فكان فيما اقتطفاه من وراء هذا السباق من ثمار اللذة العاجلة ما يبدو لبعض الناظرين أنه حق للمرأة قد نالته، وأنه يدٌ من العطاء والإنصاف قد امتدت من الرجل إليها، وما الأمر في حقيقته بهذا ولا ذاك.

والنتائج المؤلمة التي يراها الجميع أكبر شاهد على ذلك.. ويضج الكون من حولهم بنداء الله عز وجل:

﴿أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها، فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون﴾. انتهى [ص/١٧٧-١٨٢/].

* * *

كلماتٌ عربيّة. . . فتأمّل

بدأ الوحي ينزل على رسول الله محمد ﷺ يوم الاثنين ١٧ رمضان سنة ١٣ ق.هـ، الموافق لـ ٦ آب (أغسطس) عام ٦١٠ م. ﴿قرآناً عربيّاً لقوم يعلمون﴾.

وأقرأه الوحي جبريل الأمين، من بدايته ﴿إقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ إلى ختامه، خلال ٢٥ سنة.

وكان فيما نزل عليه من الوحي (لفظاً ومعنى وهو القرآن الكريم، أو معنى واللفظ من عنده وهو الحديث الشريف) ما يلي:

١ـ قال تعالى:

﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً﴾. [النساء/ ١].

٢ـ وعن ابن عباس، رضي الله عنهما، مرفوعاً:

«خلقت المرأة من الرجل فجعلت نهمتها في الرجل، وخلق الرجل من الأرض فجعلت نهمته في الأرض، فاحبسوا نساءكم». [تفسير ابن كثير ١/ ٧٠٦].

٣ـ قال تعالى:

﴿هن لباس لكم وأنتم لباس لهنّ، علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن، وابتغوا ما كتب الله لكم﴾. [البقرة/ ١٧٨].

٤ـ قال رسول الله، ﷺ:

«حبب إليّ من الدنيا النساء والطِّيب وجعلت قرّة عيني في الصلاة». [سنن النسائي ٧/ ٦١]. إشارة إلى اعتبار الزواج أمراً مقدساً، والعزوبة انحطاطاً،

وجعل حب المرأة الطاهر من أخلاق الأنبياء. ووفاء منه ﷺ بأصلي الدين: وهما التعظيم لأمر الله والشفقة على الجنس اللطيف من خلق الله تعالى.

٥ـ قال رسول الله ﷺ:

«أحقّ الشروط أن توفوا به ما استحللتم به الفروج». متفق عليه.

٦ـ قال رسول الله ﷺ:

«استوصوا بالنساء خيراً، فإن المرأة خلقت من ضِلَعٍ لن تستقيم لك على طريقة، فإن استمتعتَ بها، استمتعتَ بها وبها عوج، وإن ذهبتَ تقيمها كسرتها، وكسرها طلاقها». متفق عليه.

٧ـ قال تعالى:

﴿يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً، ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن، إلا أن يأتين بفاحشة مبينة، وعاشروهن بالمعروف، فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً﴾. [النساء/ ١٩]. ومعنى كرهاً: مكرهين لهن. ولا تعضلوهن: لاتمسكوهن مضارّة لهنّ.

٨ـ قال رسول الله ﷺ:

«اتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمان الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف». [رواه مسلم ١٢١٨].

٩ـ وقال رسول الله ﷺ:

«خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي». [سنن الدارمي٢/ ٢٥٩].

١٠ـ وقال رسول الله ﷺ:

«حق الزوجة عليك: أن تطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا اكتسيت، ولا تضرب الوجه، ولا تقبِّح، ولا تهجر إلا في البيت». [مسند أحمد ٤/ ٤٤٦، وسنن أبي داود ٢/ ٦٠٦ وابن ماجة ١٨٥٠].

١١ـ قال رسول الله ﷺ:

«إن الدنيا كلها متاع، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة». [مسند أحمد٢/ ١٦٨].

١٢ـ قال رسول الله ﷺ:

«ما من شيء خير لامرأة من زوج». [أحكام النساء ص١٥٩].

١٣ـ وقال ﷺ:

«إن للزوج من المرأة لشعبةً ما هي لبشر». [سنن ابن ماجة ١٥٩٠].

١٤ـ قال رسول الله ﷺ:

«ألا أخبركم بنسائكم من أهل الجنة؟ قلنا: بلى يا رسول الله. قال: الودود، الولود، العوود، التي إن هي ظلمت قالت: هذه يدي في يدك لا أذوق غمضاً حتى ترضى». [الترغيب والترهيب للمنذري ٤/ ١٢٥].

١٥ـ وقال رسول الله ﷺ:

«ليس للنساء وسط الطريق». [سنن أبي داود٥٢٧٢].

١٦ـ وقال ﷺ:

«ما من امرأة تنزع ثيابها في غير بيتها إلا هتكت ما بينها وبين الله تعالى». [سنن أبي داود ٤٠١٠ والطيالسي ١٥١٨].

١٧ـ وقال رسول ﷺ:

«المرأة عورة، إذا خرجت استشرفها الشيطان، وأقرب ما تكون من الله ما كانت في بيتها». [سنن الترمذي ١١٧٣].

١٨ـ وقال ﷺ:

«خير مساجد النساء قعر بيوتهن». [مسند أحمد ٦/ ٣٠١].

١٩ـ وقال ﷺ:

«المرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها». [صحيح البخاري٨٥٣].

٢٠ـ قال تعالى:

﴿وإذا أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهنّ قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً، أتأخذونه بهتاناً وإثماً مبينا. وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذنَ منكم ميثاقاً غليظاً﴾. [النساء/ ٢٠ـ٢١/]. ومعنى بهتاناً باطلاً وظلماً. وأفضى بعضكم: وصل. وميثاقاً غليظاً: عهداً وثيقاً.

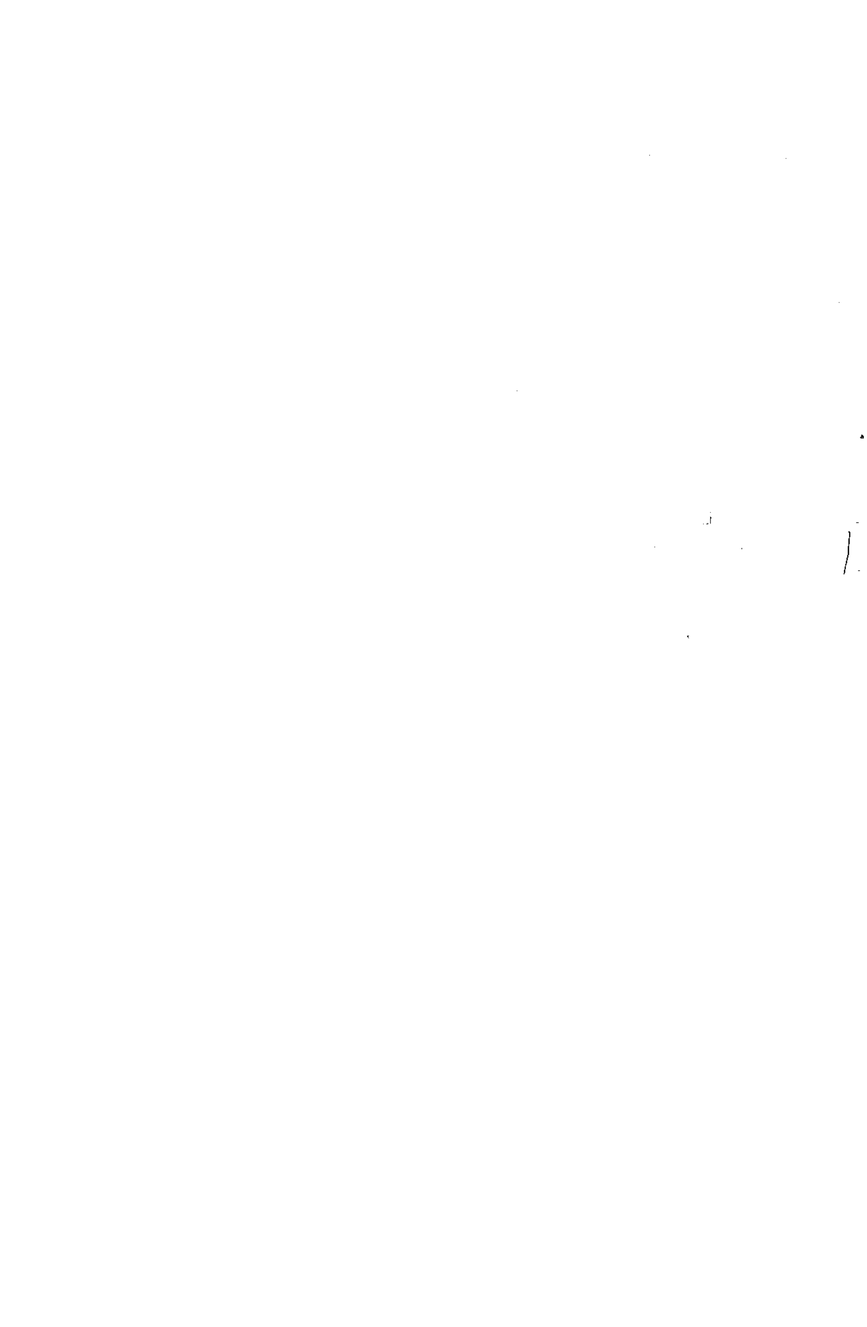
٢١ـ وقال تعالى:

﴿للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون، وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قلّ منه أو كثر نصيباً مفروضاً﴾. [النساء/ ٧]. ومعنى مفروضاً: واجباً.

٢٢ـ قال صلى الله عليه وسلم: «لا تضربوا إماء الله». [مسند الشافعي].

٢٣ـ وقال ﷺ: «تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها، وجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك». [رواه البخاري ٥٠٩٠ ومسلم ١٤٦٦]. ومعنى تربت يداك: صرت محروماً من الخير إن لم تفعل ما أمرتك به.

* * *



وكلماتٌ غربيّةٌ . . فتأمل

١ـ قال ويل ديورانت، في الفصل التاسع من كتاب لذات الفلسفة، ص١٥٥ـ١٥٩، بعد أن يذكر بعض الآراء التي تحتقر المرأة عن أرسطو ونيتشه وشوبنهاور وبعض الكتب اليهودية، وبعد الإشارة إلى أن الثورة الفرنسية بالرغم من حديثها عن تحرر المرأة، إلا أن تغيراً عملياً لم يحدث، يقول: «حتى حدود ١٩٠٠ م لم يكن القانون ليجبر الرجل على احترام المرأة». وعندها يتطرق إلى أسباب تغير وضع المرأة في القرن العشرين فيقول: «تحرر المرأة من آثار الثورة الصناعية». ويكمل حديثه قائلاً «كانت العاملات أقل أجراً من العمال، وكان أصحاب المعامل يفضلونهن على الرجال لكثرة تمرد الرجال. قبل قرن من الزمان كان الحصول على عمل في انكلترا أمراً عسيراً على الرجال، لكن الإعلانات كانت تدعو الرجال إلى إرسال نسائهم وأطفالهم إلى المعامل. . كانت أول خطوة على طريق تحرير جداتنا تتمثل في قانون عام ١٨٨٢م إذ بموجب هذا القانون أصبحت نساء بريطانيا العظمى يتمتعن بميزة لم يسبق لها مثيل، هي أن من حقّهن الاحتفاظ لأنفسهنّ بالمال الذي يكسبنه. هذا القانون الأخلاقي وضعه أصحاب المعامل في مجلس العموم، من أجل أن يجتذبوا نساء انكلترا إلى المعامل. ومنذ ذلك العام وحتى العام الحالي أدى البحث عن الربح الذي لا يقاوم إلى أن تتحرر النساء من العذاب والاستعباد في البيت لتصبح رهن العذاب في المتجر والمعمل».

٢ـ قالت ميسز أمريكانية، في مقالة مترجمة من مجلة كورينت، ترثو باكية وتشتكي حال العاملات في المجتمع الأمريكي، فتقول: «تغيرت في الوقت الحاضر ظروف العمل، في معمل جنرال موتورز، في ولاية أوهايو، أو بتعبير آخر: المكان الذي تتعذب فيه ما يقارب الـ ٢٥٠٠ امرأة، وترى هذه السيدة ـ من

هؤلاء العاملات ـ نفسها أمام ماكنة جبارة، فهي إما منهمكة بتنظيف فرن معدني زنته ٢٥ رطلاً كان قد وضعه في مكانه قبل لحظات رجل مفتول العضلات، وتقول في نفسها: أجد جسمي محطماً مليئاً بالكدمات والجروح. وأضافت: يجب عليّ في كل دقيقة أن أعلق بالرافعة حزمة ذات ٢٥ إلى ٥٠ رطلاً.. وأجد يدي على الدوام متورمتين وتؤلماني كثيراً». وتقول عن سيدة أخرى يعمل زوجها بحاراً: «إن القوة البحرية أرسلت في هذه الأثناء سفينة في مهمة، شاركت فيها أربعون امرأة، وأربعمائة وثمانون بحاراً، لكن عندما عادت هذه السفينة من أول سفرة مختلطة لها، تأكدت مخاوف وتوجسات زوجات البحارة، إذ تبين أنه لم تجر قصص عشق كثيرة على السفينة فحسب، بل إن أغلب النساء قد مارسن الجنس ليس مع بحار واحد فقط بل مع عدة منهم». وتقول أيضاً: «في ولاية فلوريدا، وبعد التحرر، امتد النزاع حتى شمل الأرامل، فقد أعلن أحد القضاة في هذه الولاية واسمه توماس تستا، عدم شرعية المادة القانونية التي تعفي الأرامل اللواتي يملكن ٥٠٠ دولاراً فما دون من ضريبة الدخل قائلاً: إن هذا القانون تحيز للنساء ضد الرجال».

٣ـ قال رسكو باوند، أستاذ كلية الحقوق في هارفارد:

«إن تحرير النساء بداية لنتائج مؤسفة للمكانة القانونية للمرأة في أمريكا».

٤ـ قال السناتور جي أروين، من ولاية كارولينا الشمالية:

«جميع قوانين الأسرة يجب أن تتغير، ولا يكون الرجال بعد ذلك مسؤولين عن تأمين ميزانية الأسرة».

٥ـ تقول السيدة ماك دانيل: «إن إحدى النساء أصيبت بنزف داخلي من جراء حمل بعض الأثقال، إننا نريد العودة إلى الوضع السابق، نرغب في أن يعاملنا الرجال على أننا نساءٌ لا عمّال. أما بالنسبة لأنصار تحرر المرأة فهذا الموضوع سهل جداً، إذ يجلسون في غرفة فخمة ليقولوا: يجب أن يتساوى النساء بالرجال، ذلك أنهم لم يعرفوا العمل في المعمل بعد، إنهم يجهلون أن جميع العاملات بأجر في هذه البلاد يعاملن مثلي ويشقين في المعامل، إنني لا أريد

هذه المساواة، إذ أنني لا أستطيع إنجاز أعمال الرجال، إن الرجال أقوى منا أجساماً وإذا كان المطلوب أن ننافسهم في العمل والانتاج، ويقاس عملنا بأعمالهم، فإنني ـ من جانبي ـ أفضّل الاعتزال. إن الميزات التي خسرتها عاملات ولاية أوهايو أكثر بكثير من المزايا التي كسبتها عن طريق قانون حماية العمال، لقد خسرنا شخصيتنا النسائية، إنني لا أفهم ماذا استفدنا منذ الوقت الذي صرنا فيه أحراراً وحتى الآن؟ هناك بالطبع عدد من النساء محدود استفدن من ذلك، لكننا بالطبع لسنا من أولئك». انتهى [من مجلة كورنت العدد ٧٩ السنة ٣٤ في ٧ حزيران (يونيو) عام ١٩٧٤].

٦ـ قال برتراندرسل: «في جميع الأديان نوع من التشاؤم وسوء الظن تجاه العلاقة الجنسية ما عدا الإسلام، إنه قد وضع لهذه العلاقة ضوابط وحدوداً لصالح المجتمع ولم يستقذرها على الإطلاق». مقالته بالنسبة لنا على ما يقولون: والفضل ما شهد به الأعداء.

٧ـ ومن كتاب هذه مشكلاتهم (ص٨٨ـ٨٩) أنقل خلاصة عن النظرة الدونية والحياة الدونية التي كانت تعيشها المرأة الغربية:

«كانت فرنسا، منهمكة في دراسة حقيقة علمية هامة، تشغل بالها، ألا وهي: هل المرأة تعد من صنف الحيوانات الناطقة، أي البشر؟!.

وإن القانون الانكليزي كان إلى ما قبل قرن ونيّف يبيح للرجل أن يبيع زوجته بما لا يقل عن ستة بنسات ما يعدل ٣٠ شلناً، وإن القانون الفرنسي كان ينص حتى عام ١٩٣٨ على أن المرأة ليست أهلاً للتعاقد إلا برضا وليّها أو زوجها..» انتهى.

٨ـ قال هربرت سبنسر الفيلسوف الانكليزي في كتابه (وصف علم الاجتماع): «إن الزوجات كانت تباع في انكلترا فيما بين القرن الخامس والقرن الحادي عشر. وشر من ذلك ما كان للشريف النبيل روحانياً كان أو زمنياً من الحق في الاستمتاع بامرأة الفلاح إلى مدة أربع وعشرين ساعة من بعد عقد زواجها عليه ـ أي الفلاح ـ». انتهى.

٩ـ وفي سنة ١٥٦٧ م صدر قرار البرلمان الاسكوتلاندي، بأن المرأة لا يجوز أن تمنح أي سلطة على أي شيءٍ من الأشياء.

١٠ـ في كتاب ماذا عن المرأة (ص١٩): حدثني صديق أنهى تخصصه العالي في أمريكا حديثاً، فذكر هذا الصديق أن في الأمريكيين أقواماً يتبادلون زوجاتهم لمدة معلومة، ثم يسترجع كل واحد زوجته المعارة، تماماً كما يعير القروي دابته، أو الحضري في بلادنا شيئاً من المتاع.

* * *

الخاتمة

إذا قرأت الكتاب فصلاً فصلاً، وعرفت ما مصير مقترف الفواحش فـ ﴿قل أعوذ﴾ ألتجيء محتمياً، وألوذ متحصِّناً، ﴿بربِّ الناس﴾ مربيهم ومصلحهم، وموجههم للأصلح، ﴿ملك الناس﴾ مالكهم ومدبّر أمورهم وحاكمهم بعين العدل، ﴿إله الناس﴾ معبودهم لا شركة فيه، وإنما أضيف الرب إلى الناس خاصة، وإن كان رب كلِّ مخلوق تشريفاً لهم، فليشرّف الناس أنفسهم، وليفرّوا ﴿من شرِّ الوسواس﴾ وهو الشيطان وأعوانه، لأن الوسوسة شغله الذي هو عاكف عليه ﴿الخناس﴾ الذي عادة الشياطين أن يخنسوا، أي يتأخروا، وذلك إذا ذكر الإنسان ربّه خنس الشيطان وولّى، وإذا غفل رجع ووسوس إليه ﴿الذي يوسوس في صدور الناس﴾ وأول الخطايا وسوسة استفحلت في الصدور، وزيّنَها عدوّ الفضائل والأخلاق ﴿من الجِنَّة والناس﴾ أي من شياطين الجن والإنس، فيهوي من وبائها من لا يستعيذ بالله نعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا وأقوالنا، ومن شرِّ ما عملنا، وما لم نعمل. ونشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله ونبيه وصفيه أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

٤ صفر ١٤١٥هـ

سليم شبعانية

المحتوى

* * *

طبع للمؤلف

١ـ منهاج الوصول إلى علم الأصول للقاضي البيضاوي	تحقيق
٢ـ تخريج أدلة منهاج الأصول للحافظ عبد الرحيم العراقي	تحقيق
٣ـ الاجتهاد المطلق للشيخ محمد البكري	تحقيق
٤ـ متن الأربعين المنذرية للحافظ عبد العظيم المنذري	تحقيق
٥ـ الروض الفائق للشيخ شعيب الحريفيش	تقديم وترجمة
٦ـ المجموع المبارك للشيخ يوسف النبهاني	تقديم وترجمة

وهو مؤلف من: ١ـ مفرج الكروب ومفرح القلوب.
٢ـ الاستغاثات بسيد السادات.
٣ـ أحسن الوسائل في أسماء النبي الكامل.
٤ـ الأسمى فيما للنبي العربي من الأسما.

٧ـ آداب البحث والمناظرة	تحقيق وتقديم
٨ـ تعلم الطهارة والصلاة على الفقه الشافعي	تأليف
٩ـ أدعية مناسك الحج والعمرة	تأليف

وتحت الطبع

١٠ـ تعلم الطهارة والصلاة على الفقه الحنفي	تأليف
١١ـ وصايا الرسول إلى النساء	تأليف
١٢ـ صلاة ودعاء تحفيظ العلوم	تأليف
١٣ـ تفسير جزء عم للشيخ النبهاني	تحقيق
١٤ـ تفسير جزء تبارك للشيخ النبهاني	تحقيق
١٥ـ جبل قاسيون والرجال الأربعون	تأليف
١٦ـ الكنه فيما لا بد للمريد منه للشيخ محيي الدين بن عربي	تحقيق

١٧ـ حكاية إبليس للشيخ محيي الدين بن عربي تحقيق

١٨ـ ورد الفرج للشيخ أحمد الرفاعي تحقيق

٩١ـ جامع الثناء على الله تعالى للشيخ يوسف النبهاني تقديم وترجمة

٢٠ـ رياض الجنة في أذكار الكتاب والسنة للشيخ يوسف النبهاني تقديم وترجمة

٢١ـ روض الرياحين في حكايات الصالحين لليافي تقديم وترجمة

٢٢ـ الموجز في شرح الأربعين المنذرية في الأحكام تأليف

٢٣ـ بداية المسلم المعلم في المصطلح وحديث الرسول المعظم تأليف

٢٤ـ ورد صلاة الصبح والأدعية الصحيحة تأليف